الحجاج في الشعر السياسي في العصر الأموي

إعـــداد

منى بنت غربي العنزي

جامعة الحدود الشمالية

الملخص:

نتحدث في بداية الفصل الأول عن نشأة الحزب الشيعي، وبداية ظهوره باعتباره حزباً سياسياً له ثقله المقلق للدولة الأموية، وأهم فرق هذا الحزب ومبادئها وأفكارها، وحجج برلمان لتطبيقها على أشعار الشيعة، واستخراجها وفقاً لتصنيفات تلك الحجج وكانت حججاً عامة، ومن خلال البحث والدراسة نجد بعض الحجج التي اختص بها الحزب الشيعي دون غيره، مثل وصاية الرسول ﷺ بعلي رضي الله عنه، وحادثة الطف الحزينة التي قتل بها حفيد الرسول، وقضية الوراثة، وغيرها. والحجاج لديهم كثير التأثر بألفاظ إسلامية و تناص قرآني، يستندون على أحاديث نبوية، إضافة إلى حوار عقلي بعيد عن المغالطة والسفسطة، كما أنهم استفادوا من مكانة آل هاشم عند المسلمين، وحركوا هذه الحجة بذكاء في كل مرة يحتجون للخلافة، يذكرون الناس بقرابتهم للنبي، وأن مساندتهم إرضاء له.

Surveyor:

We are talking at the beginning of the first chapter about the emergence of the Shiite party and the beginning of its appearance as a political party with a worrying weight for the Umayyad state, and the most important divisions of this party and its principles and ideas, and the arguments of the parliament to apply them to the Shiites' poetry and extract them according to the classifications of those arguments. The arguments of the Shiite party alone, such as the guardianship of the Prophet
Peace be upon him Baali may Allah be pleased with him, the incident of the sad child, which killed the grandson of the Prophet, and the issue of inheritance, and others. The pilgrims have a great deal of influence on Islamic terminology and Quranic recitation, based on prophetic traditions, as well as on intellectual dialogue far from fallacy and sophistication. They also benefited from the status of the Hashemites among the Muslims, and moved this argument intelligently every time they protest the caliphate, reminding people of their closeness to the Prophet, Support them to please him.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالحجاج نمط من أنماط الخطاب يختلف حضوره من خطاب إلى آخر حسب الغاية التي يجري إليها، وقد ارتبط بالخطابة عند أرسطو لأنّ الغاية منها حمل المتقبّل على الإذعان، والتأثير فيه. لذلك يهيمن الحجاج على كلّ خطاب ينزع إلى توجيه المتقبّل إلى فكرة الباث أو دحض فكرة جاهزة سلفا عنده، والردّ عليها، بغضّ النظر عن طبيعة الجنس الأدبيّ الّذي يتشكّل داخله الخطاب سواء أ كان شعرا أم نثرًا.

ولمّا كانت الصراعات الفكريّة والسياسيّة الميسم الأبرز للحقبة الأمويّة، فقد اخترت أن يكون المدخل إلى دراسة أشعار الأحزاب السياسيّة (شعر الشيعة أنموذجا) في هذه الفترة، مدخلا حجاجيّا، لأنّه كفيل في اعتقادي بإبراز خصائص هذه الأشعار والحجج التي تنهض عليها من ناحية، وكشف خلفيّات المتكلّمين ومراجعهم الفكريّة من ناحية ثانية.

وأما مشكلة البحث فهي: إلى أي مدى نجح الحزب الشيعي في تثبيت شرعية الخلافة من خلال الشعر؟ وكيف حاول الانتصار لوجهة نظره في الموضوع نفسه؟

وتدور أسئلة البحث حول:

- ما الوسائل التي اعتمد عليها شعراء الشيعة في حججهم؟
- هل كان الإقناع يعتمد أكثر على حججهم القوية الصحيحة في الواقع، أم على وسائل الحجاج المساعدة وإتقان صياغتها؟
- ما مدى قدرة هذه الحجج على التأثير في المتقبّل وحملِهِ على التصديق؟ وما مدى الأثر الذي تركه هذا الحزب في ذلك العصر؟

من أهداف الموضوع:

- استخراج الحجاج، وصوره، وأدواته.
- تحليل الأبيات الحجاجية من ناحية تصنيفات برلمان.
- معرفة أهدافهم من إيراد الحجج ومدى تأثيرها في المتلقي.
- التعرف إلى الحزب الشيعي ونظرته الشرعية في الحكم.
- الكشف عن الأساليب الحجاجية عند شعراء الحزب، ومعرفة مدى قوة هذه الحجج وصحتها.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي؛ لأن البحث يستدعي هذا المنهج لتحليل ووصف الأبيات الحجاجية، ومعرفة أسبابها ووسائلها ونتائجها، كما أنني استعنت بالمنهج التاريخي في بداية الفصول الأربعة، لتتبع تاريخ ونشأة الأحزاب.

مفهوم الحجاج عند بعض النقاد العرب وبرلمان

- **الحجاج في اللغة والاصطلاح:**

يقول ابن منظور عن الحجاج : " حاججته أحاجه حجاجا. ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان، وقيل: الحجة مادُوفِعَ به الخصم".[١]

ويقول الحنفي: " فأما الحجة: فاسم يعم الكل، وكذلك البينة والبرهان، وتفسير الحجة أنها: اسم من حج إذا غلب، يقال: لج فحج أي غلب، وحاججته فحججته أي: غلبته ألزمته بالحجة حتى صار مغلوباً".[٢]

ويقول الباجي عن الحجاج:" تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه... والدليل: ما صح أن يرشد إلى المطلوب وهو الحجة والسلطان والبرهان".[٣] ويقول أيضا: "هذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم".[٤] يجعل للحجة فضل في معرفة صحة القضية، وتمييز الحق عن الباطل، حتى لا تلتبس الأمور عند المستقبل.

ويقول ابن الحاجب: "ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري".[٥]

---

١ محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج٤، القاهرة: دار المعارف، د.ت، مادة حجج، ص٧٧٩.

٢ عبيدالله بن عمر الحنفي، **تقويم الأدلة في أصول الفقه**، قدم له وحققه خليل محيي الدين الميس، ط١، بيروت: دار الفكر،١٤٢١هـ، ص١٣.

٣ سليمان بن خلف الباجي، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبدالمجيد تركي، ط٣، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت، ٢٠٠١، ص١١.

٤ نفسه، ص٨.

٥ عثمان بن عمر الحاجب، **مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل**، دراسة وتحقيق نذير حمادو، م١، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١، ص٢٠٣.

أما النقاد المعاصرون فرؤيتهم مشابهة لبعضها، يقول طه عبد الرحمن: "كل منطوق به

موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها".[1] يثير هنا قضية أن الحجة تستلزم أن يكون لها نقيض، بذلك تتيح خيارات أمام المتلقي للاقتناع بها أو رفضها، وحتى يضمن الباث قبول حجته لابد أن يؤسسها على بناء قوي

يقول صابر الحباشة عن الحجة: إنها "تقوم على حسن توظيف الأساليب المتعلقة بأهداف المتكلم وبما يراه مناسبا للمقام من تخير الحجج الفعالة والملائمة والتي تضمن تأثيره في الجمهور المستهدف".[2] والحجة قد تكون قابلة للدحض والنقض والجدل، تستدعي أطروحات منافسة تسعى للاستحواذ على الإقناع والتأييد.

ويقول جميل عبد المجيد عن الحجاج:" عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين"[3]. ويبدو لنا أنه ليس كل عملية اتصال تعتمد على المنطق للتأثير، فهناك من يعتمد على المراوغة والعاطفة.

ويرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أن الحجاج هو "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع".[4] والشهري ينظر هنا إلى الحجاج من الناحية التداولية المرتبطة بنظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري، والحجاج التداولي يهتم فقط باللغة وتغيير السلوك، وتوجيهه عبر ثنائية: افعل ولا تفعل*. ونرى أن الشهري قد اشترط في

١طه عبدالرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨، ص٢٢٦.

٢صابر الحباشة، **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**، ط١، دمشق: صفحات للدراسات والنشر،٢٠٠٨، ص٢٩.

٣ جميل عبدالمجيد، **البلاغة والاتصال**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص١٠٥.

٤ عبدالهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت، ص٤٥٦.

*ظهر مفهوم التداولية التحليلية في الحجاج في منتصف القرن العشرين مع أوستين وكتابه (**نظرية أفعال الكلام**) سنة ١٩٦٢م، وسورل في كتابه (**أفعال اللغة**) سنة ١٩٦٩م.

الحجاج الإقناع، فلابد أن يكون الحجاج حاملا لأدوات الإقناع ووسائله. وإلا لا يعد الخطاب في حيز الحجاج، وإنما يكون خطابا عاديا لا يهدف إلى التأثير.

فالحجاج هو أطروحة ونقيضتها، يسعى كل طرف إلى تقديم وسائل وأدلة قصد استمالة المتلقي وجذبه إلى أطروحته، ودحض الأطروحة الأخرى.

- **الحجاج عند برلمان:**

أصبحت البلاغة الجديدة منفتحة على علوم شتى، ومجالات عدة، خاصة بعد ظهور الدراسات الحجاجية والجدلية.

فقد كانت البلاغة عند أرسطو مما تهتم به الجمهور المتلقي، وعند أفلاطون عبارة عن صراعاتٍ بين الفلاسفة، ظلت على حالها حتى بدأت تنحدر نحو السقوط[1]، إلى أن جاء بعض التلاميذ الذين كانوا يطمحون إلى إعادة بناء البلاغة من جديد، فظهرت عدة دراسات أهمها- في مطلع القرن العشرين- دراسة رجل القانون شايم برلمانChaim Perelman ولوسي أولبريخت تيتيكا Lucie olbrechts-Tyteca في كتابهما الوجيز في الحجاج- البلاغة الجديدة. فقد حاول برلمان "أن يخلص الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقربا إياه من مجالات استخدام اللغة مثل مجال العلوم

١ انظر بوزناشة نور الدين، مقال''الحجاج في الدرس اللغوي الغربي''، **مجلة العلوم الإنسانية**، WWW.ULUM.NL. السنة السابعة، العدد ٤٤، ٢٠١٠، ص٦.

الإنسانية والفلسفة والقانون".[١]

وترجع نشأة البلاغة الجديدة إلى برلمان، فقد أخذ آراء أرسطو وتوجهاته وطورها وفق رؤية جديدة، فانبثقت البلاغة الجديدة من شرنقة خطابة أرسطو، فدخلت إلى فضاء أوسع مما كانت عليه، وحوت جوانب عديدة غير مقتصرة على اللغة "وشكلت فتحا بلاغيا جديدا (مؤلفات برلمان) لا يختلف عما قدمه أرسطو المؤسس الأول للدرس البلاغي القديم، فإذا كانت البلاغة قد ولدت وترعرعت في أحضانه حيث أرسى قواعدها وأركانها ضمن كتابه الخطابة فإنها تطورت وازدهرت مع برلمان الذي أضاف إليها الشيء الكثير".[٢]

ويرى برلمان أن الحجاج هو "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع".[٣] ونرى في تعريف برلمان أن الحجاج لا يكون للإقناع بفكرة جديدة فقط، وإنما يكون لزيادة الإقناع وتأكيد فكرة موجودة مسبقا لدى المتلقي اقتنع بها.

---

١ عبد الله صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكا''، في كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، فريق البحث في البلاغة، والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب، والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس. د.ت، ص٣٤٨.

٢ محمد الولي، **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**، الرباط: دار الأمان، ٢٠٠٥، ص٣٥٥.

٣ شايم برلمان، **مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة**، ج١، المطابع الجامعية بليون، ١٩٨١، ص١٣. نقلا عن سامية الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه**، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨، ص٢١.

*حارب أفلاطون وأرسطو السفسطة وبذلا جهدا في ذلك، وخصص الأخير جزءاً من كتابه الأرغانون لمحاربة السفسطة. والسفسطة: تعني التلاعب بالألفاظ لطمس الحقائق والإجابة على السؤال بسؤال.

وبدأت نظريته الجديدة (نظرية الحجاج) تهتم بالخطاب والمتلقي والباث، وتهتم بكل أداة تساعد على التأثير والإقناع، فقد اهتمت بالخطاب من ناحية مراعاة المقام، وإيراد حجج صحيحة بعيدة عن السفسطة*.

فالمتلقي يتنوع بتنوع الثقافات والمواضيع، وقد يكون فرداً أو جماعة، فلابد من التمييز بين أنواع الخطاب الموجهة إليه، "ومن هذا المنطلق يرى برلمان أن مخاطبة الفرد تختلف عن مخاطبة الجماعة في ساحة عمومية، إذ توافر للخطيب الامتياز بالتعرف على المستمع الفرد معرفة عميقة، لأن الخطيب مع تقدم الحوار يستطيع من خلال الأسئلة والأجوبة التعرف عليه أكثر، خاصة ما تعلق بميولاته، والجوانب التي تستجيب لهذا الفرد، مما يسهم في خلق وضعية مناسبة للاقتناع والتأثير، أما إذا تجاهل الخطيب ذلك فإنه أمام حجر عثرة يحول بينه وبين مستمعه ويضيع إقناعه".[١]

وعلى الخطيب أو الباث معرفة أنواع مستمعيه، ومراعاة المقامات التي يوجه إليها خطابه لضمان جودة حجته، وإيصالها إلى المتلقي.

فقد قسم برلمان المستمع إلى: "مستمع خاص ومستمع كوني؛ يتكون الأول من شخص الخطيب نفسه أو من جمع محدود العدد في مقام معين، ويشمل الثاني كل كائن ذي عقل. هذا التقسيم مكن برلمان من التمييز بين الإقناع والتيقن بشكل دقيق وتقني"[٢]، ويجب أن يتنبه المحاج حينما يصوغ خطابه ويعده، أنه يخاطب جمهورا واسعا أي جمهوراً كونياً غير خاص، فلابد من مراعاة جميع الطبقات والعوام، ومن ناحية أخرى قد يخاطب جمهورا خاصا كأصحاب المذاهب أو السياسيين... فلابد من الحذر والاحتياط في مخاطبتهم، ومراعاة أحوالهم، وصياغة حجج من بيئتهم ومحيطهم حتى يتمكن من الوصول إلى غايته.

---

١ نور الدين، مقال'' الحجاج في الدرس اللغوي الغربي''، ص٦.

٢ الحسين بنو هاشم، مقاله '' نظرية الحجاج عند شايم برلمان وآفاق تحليل الخطاب''، في كتاب **البلاغة والخطاب**، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ط١، كلية الآداب تطوان ، ٢٠١٤، ص٩١.

وظيفة الحجاج وغايته: دفع المتلقي للإذعان والتسليم على نحو يجعله يعمل بالفكرة. ويرى برلمان أن "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب. أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"،[1] والوظيفة الأساس لكل حجاج هو الإقناع والتسليم للرأي، فإذا حصل هذا الإذعان يعتبر الحجاج ناجحا؛ لأنه وصل إلى بغيته، وذلك عن طريق الاهتمام بالفكرة وترسيخها وتقويتها من خلال التوفيق بين الظاهر والمضمر من الحجة، ولكي يبني بناء قويا تستند عليه الحجة لابد من معرفة أنواع النفوس والمقامات وما يناسبها من أقاويل وأساليب حتى يضمن استمالتها نحوه.

وبما أن المنظرين لنظرية الحجاج (برلمان، وتيتيكا) حصرا مجموعة من الحجج[2] اعتمدها كثير من الدارسين في تطبيق دراساتهم، وتحليل نصوصهم، وهي كما يلي:

١-الحجج شبه المنطقية:

- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية :
  - التناقض وعدم الاتفاق.
  - التماثل والحد في الحجاج.
  - الحجج القائمة على العلاقة التبادلية.
  - حجة التعدية.
- الحجج شبه منطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:
  - تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له.
  - إدماج الجزء في الكل.

---

١ برلمان، **مصنف في الحجاج**، نقلا عن صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٢٩٩.

١٧ ترجم عبد الله صولة هذه الحجج من كتاب برلمان، وتيتيكا (**مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة**)، وتلك الحجج سوف اعتمدها في بحثي الحالي.

٢-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

- الاتصال التتابعي:
  - الحجة السببية.
  - حجة التبذير.
  - حجة الاتجاه.
- الاتصال التواجد:
  - حجة الشخص وأعماله.
  - حجة السلطة.
  - الاتصال الرمزي.

٣-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة.
- الاستدلال بواسطة التمثيل.

هذه الأنواع هي التي تقوم عليها البنية الحجاجية، تقول سامية الدريدي بشأن هذا التصنيف: "يبدو مقنعاً؛ لأنه يبرز الفوارق بين الحجج ويظهر الاختلافات الدقيقة بينها، كما يحيط بكل الحجج تقريباً على نحو يعسر معه العثور على حجة لا يمكن ردها إلى أحد الأصناف المعتمدة".[١] ونأتي لتفصيل هذه الحجج:

١-**الحجج شبه منطقية:** سميت بذلك لأنها تشبه المنطق وتقترب منه، فعندما نجد حجة تنتمي إلى هذا الصنف تكون أقرب إلى اليقين والحقيقة، ويستطيع المتأمل أن يجد لها نقضا، خاصة إن كانت من جنسها، وللحجج شبه منطقية التي تعتمد البنى المنطقية، أصناف كما ذكرنا سابقا في التقسيمات، وهي:

١ الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص١٩٠.

أ) **التناقض وعدم الاتفاق**: أي التضارب بين أطروحتين عرضهما الباث، بمعنى أن تكون هناك أطروحة، وله أطروحة أخرى تناقض الأولى ولا تتفق معها. مثل قول عنترة بن شداد: (**الطويل**)

يُنادُونَني في السِّلم يا ابنَ زَبيبةٍ وَعِند صِدَامِ الخَيلِ يَا ابنَ الأطَايبِ[1]

هنا التناقض بين الأطروحتين واضح، بحيث لا يمكن أن يجتمع الامتهان مع الاحترام لشخص واحد من مجموعة واحدة. كيف يهينونه ويعيروه بأمه السوداء، وذلك كما يرون ينقص من شأنه، ثم في موقف آخر ينادونه بأحب الأسماء إليه التي تمتلئ تقديرا واحتراما، لا شك في أن هذا هو التناقض الذي يعانيه الشاعر في حياته، الذي قدر الله له أن يعيش في مجتمع عنصري لا يعترف بالأخلاق الإنسانية، ويلتزم الأعراف والتقاليد الصارمة. فتعبير الشاعر يحمل الأسى الذي يعانيه في حياته المتذبذبة ما بين الاحترام والاحتقار.

ب) **التماثل والحد في الحجاج**: يذكر الباث أمرا ما ويحاول أن يقدم له تعريفا غامضا غير واضح ودقيق، ويكون التماثل ظاهرا لنا في شكل مجمل غير مفصل، فحينما يحتج لمبدأ أو فكرة لا يضبطها في تعريف دقيق "إذ صيغة التماثل ليست إلا طريقة شكلية نتوخاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا بواسطة الحشو...كقول القائل:(حين أرى ما أرى أفكر فيما أفكر) ففي هذا القول نجد اللفظ الثاني دائما هو الذي يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار"،[2] كأن يقال الخبيث يبقى دائما خبيثا والطيب يبقى دائما طيبا، ولكن لم يفسر لماذا هو خبيث أو طيب فقط تماثل؛ لأنه يرى أنها قيمة ثابتة لا تتغير، ويحتج بأن الخبيث سيواصل خبثه؛ لأنه جبل على ذلك وتطبع، وهذه من المسلمات المتعارف عليها بين الناس، ونحن نعلم أن المسلمات والحقائق والوقائع والقيم من

١ عنترة بن شداد، **ديوانه**، عني بتصحيحه أمين سعيد، القاهرة: المطبعة العربية بمصر، د.ت، ص٢٤.
٢ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٢٧.

الأمور المتفق عليها، وهي تعد في الحجاج (المواضع المشتركة) التي يصعب الاختلاف معها ونقضها. كقول دريد بن الصمة: (**الطويل**)

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَت غَوَيتُ وإن تَرشَد غَزِيَّةُ أَرشِدِ[1]

فغواية الشاعر ورشده مرتبطان بالقبيلة، وهذا أمر مقنع في زمنه؛ لأنه متعارف عليه لا يحتاج إلى ضبط حدود هذا المبدأ بتعريفات توضحه، لأنه يتماثل مع قبيلته في كل شيء، وكأنه استنساخ منها، يذوب وينصهر في تقاليدها.

ج) **الحجة القائمة على العلاقة التبادلية:** هي حجة تنطلق من مقولة (ضع نفسك مكاني)؛ لتطبيق قاعدة العدل، أي التماثل بين وضعيتين ينسحب عليهما، تبعا لذلك، الحكم نفسه. ونمثل للحجة التبادلية بقول الخنساء: (**الطويل**)

وما لِيَ لا أبكي على من لو أنّه تقدّم يَومي قبلَه لبَكى ليا[2]

تحتج لنفسها أن بكاءها واجب، لأن صخرا لو كان مكانها لفعل مثل ما فعلت من حزن وبكاء، لذلك لابد أن يجري عليها نفس الحكم وهو البكاء، والحزن.

من أمثلة خرق قاعدة العدل في العلاقة التبادلية في الحجاج، قول قيس بن الملوح: (**الطويل**)

أقولُ لِظبي مَر بي وهو رَائِعُ أأنتَ أخو لَيلَى فقال: يقال

أيا شبهَ لَيلَى إنَّ لَيلَى مَرِيضَةٌ وأنت صَحيحٌ إنّ ذا لَمحَالُ[3]

بمعنى أنه من غير العدل أن تكون ليلى مريضة وأنت صحيح، لابد أن تكون مثلها مريضاً لأنك تشبهها.

---

١ دريد بن الصمة، **ديوانه**، تحقيق عمر عبدالرسول، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٦٢.

٢ الخنساء تماضر بنت عمرو، **ديوانها**، دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، ط١، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٥، ص٤٢٣.

٣ قيس بن الملوح، **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت، ص١٦٩.

د) **حجة التعدية:** وتتمثل في أن "أ" يؤدي إلى "ب" و "ب" يؤدي إلى "ج" إذا ج = أ.

ويمثل حجة التعدية قول قيس بن الملوح: (**الوافر**)

أمرُّ على الديار ديارِ ليلـــى أُقَبِّل ذا الجدارَ وذا الجـــدارَا

وما حبُّ الديارِ شغفنَ قلبي ولكن حبُّ مَن سكن الديارَا[1]

إنه حينما يقبل الجدار ليس حبا فيه، وإنما يتعدى هذا الأمر إلى حبه لمن سكن بين هذه الجدران، وهي ليلى، ويمكن أن نبين التعدية في هذه الحجة، كالتالي:

الشاعر (أ) يقبل الجدار (ب)

الجدار (ب) تسكن خلفه ليلى(ج)

إذن : الشاعر (أ) يعشق ليلى(ج).

٢-**الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:**

أ-**تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:** هذه الحجة من الحجج الرياضية شبه المنطقية، يستطيع المتأمل أيضا أن يدحضها، ولا ينخدع بها. وتعني هذه الحجة أن يكون لدينا مجموعة تتكون من أجزاء، فعندما يطلق الباث حكما على جزء من أجزاء هذه المجموعة، تبعا لذلك سوف ينسحب هذا الحكم على بقية الأجزاء الأخرى المكونة لهذه المجموعة بمعنى أن يصبح الحكم عاما للمجموعة، ولا يكون خاصا لجزء منها.

نجد هذه الحجة شائعة في الشعر العربي وخاصة في شعر الهجاء والفخر والمدح، فعندما نبحث في أشعار الشعراء المدحية أو الهجائية خاصة، نجد كثيراً من هذه الحجج، كقول عمرو بن كلثوم في معلقته:(**الوافر**)

ورِثْنَا مَجْدَ عَلقَمَةَ بنِ سَيفٍ أبَاحَ لَنَا حُصُونَ المجدِ دِينـــا

---

١ نفسه، ص١٣١.

وَرِثتُ مُهَلهِلاً والخَيرَ مِنــهُ زُهَيراً نِعمَ ذُخرُ الذاخِرِينَـــا

وَعَتَّــاباً وَكُلثُومـاً جَمِيعــاً بِهِم نِلنَا تُراثَ الأَكرَمِينَـــا

وَذَا البُرَةِ الذي حُدِّثتَ عَنهُ بِهِ نُحمَى وَنَحمِي المُحجَرِينَا*

وَمِنَّا قَبلَهُ السَّاعي كُلَيــبٌ فأيُّ المَجدِ إلاّ قَد وَلِينَـــا[1]

نجد الشاعر يستعين بحجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، حيث يبدأ بتعداد أبطال وسادة قبيلته، وهم كالتالي: علقمة بن سيف وهو من بني تغلب قبيلة الشاعر، "يقال: إنه أنزلهم الجزيرة. وقوله: (دينا) معناه: خاضعا ذليلا، وهو منصوب على الحال".[2] بمعنى أن هذا الرجل أورث المجد للقبيلة، وفي البيت الثاني يفخر بأجداده المهلهل وزهير وعتاب وكلثوم*، ويذكر أنهم كانوا ذخرا للقبيلة وبهم نالوا تراث الأكرمين، وذو البرة أحد أفراد قبيلة تغلب الذين يفخرون به؛ لأنه يحميهم، ويحمي من يلجأ إليه من خارج القبيلة، وكليب غني عن التعريف وهو أحد فرسانها، الذي بوفاته أشعلت نيران الحرب بين تغلب وبكر أربعين عاما.

كل هؤلاء يمثلون قبيلته بالشجاعة، فقبيلته قوية؛ لأنها تضم هؤلاء الأفراد، ويجر الحكم من الأفراد (خاص) إلى القبيلة (عام)، فنجده يمتدح القبيلة كلها ويذكر بطولتها: **(الوافر)**

مَتَى نَعقِد قَرِينَتَنَا بِحَبــلٍ نَجُذ الحَبلَ أو نَقِصِ القَرِينا

*ذو البرة: هو رجل من تغلب سمي بذلك لكثرة شعر أنفه، يستدير على أنفه كالحلقة.

١ عمرو بن كلثوم، **ديوانه**، تحقيق أيمن ميدان، ط١، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤١٣هـ، ص٨٠-٨١.

٢ نفسه، ص٨٠.

*مهلهل جده من قبل أمه. وزهير جده من قبل أبيه.

وَنُوجَدُ نَحنُ أمنَعُهُم ذِمَاراً وَأَوفَاهُم إذا عَقَدُوا يَمِينَـــا[1]

إلى أن يقول:

إذا بَلَغَ الفطامَ لَنا وليـــدٌ تَخِرُّ له الجَبَابِرُ سَاجِدِينـــا[2]

هكذا يقسم الكل وهي المجموعة إلى أجزاء في البداية، ويطلق عليهم حكما يجره إلى المجموعة كاملة.

الأجزاء: علقمة بن سيف، مهلهل، زهير، عتاب، كلثوم، ذو البرة، كليب.

المجموعة: قبيلة تغلب.

الحكم: واحد يشمل الكل، وهو الشجاعة.

ب) **إدماج الجزء في الكل**: يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: "ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء ... من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر: ما أسكر كثيره فقليله حرام".[3] فهذه الحجة عكس الحجة السابقة، فالحكم الذي يشمل الكل لابد أن يشمل الجزء، مثل هجاء جرير للراعي النميري: (**الوافر**)

فَغُضَّ الطرفَ إنكَ مِن نُمَيرٍ فَلاَ كَعباً بَلغتَ وَلاَ كِلاَبا[4]

فالقبيلة وضيعة، ليس لك الحق أن تفخر لأنك وضيع مثل قبيلتك. فما ينطبق على الكل (القبيلة) ينطبق على الجزء (الفرد) يكون أيضا قليل الشأن.

ونجد في الشعر خاصة، بعض الأبيات التي تنفتح على أكثر من حجة، وتحتمل أكثر من استدلال، تحتاج إلى تفحص دقيق لإرجاعها إلى أي حجة تنتمي، وقد يقرأ القارئ، ويرى أن هذه الحجة تنتمي إلى هذا النوع، وتتقارب إلى نوع آخر، وبالنسبة إلي أرى جواز انفتاح الحجة على أكثر من نوع، لأن الحجة تحتمل أكثر من تأويل وذلك بأنها تتسم

---

١ ابن كلثوم، **ديوانه**، ص٨٢.

٢ نفسه، ص٩١.

٣ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٠.

٤ جرير بن عطية، **ديوانه**، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين، ط٣، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٨٢١.

بالتضمين، الذي يفتح للقارئ أبوابا عدة، مثال ذلك قول زهير: (**البسيط**)

إِنَّ ابنَ وَرقاءَ لا تُخشَى غَوائلُهُ لكن وقائعُهُ في الحرب تُنتَظَرُ[1]

فهذا البيت الشعري ينفتح على حجتين: الحجة السببية، وحجة الشخص وأعماله. الحجة السببية: إن ابن ورقاء لا يمكن أن يخسر في الحرب بسبب كونه شجاعا، (حدث وسبب).

ويمكن أيضا أن تكون الحجة في البيت الشعري حجة الشخص وأعماله: لأن ابن ورقاء معروف بالشجاعة في حروبه فلابد أن ينتصر. وبذلك نجد أن البيت الشعري قد يتضمن أكثر من حجة.

٢-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

٢-١-وجوه الاتصال التتابعي:

أ-**الحجة السببية**: تنبني على حدث وسبب، بمعنى: وجد هذا الحدث أو الأحداث لهذا السبب، والحجة تفسيرية، وتكون ظاهرية غير ضمنية، لأنها تعتمد الوضوح في تفسير الحدث، فلابد أن يبرر الحدث بالسبب ظاهريا، مثل:

الحدث: فلان تغيب عن الدرس. ـــ السبب: لأنه يمر بوعكة صحية.

قد تأتي الحجة السببية على صيغة (توقع وتكهن)، وصيغتها تعتمد على المستقبل، لأنها احتمالية كأن أقول: هذا الرجل كريم بالتأكيد سوف يعطي سائله.

فهذه الجملة قائمة على احتمال الحدث المستقبلي وهو العطاء، لأن السبب الكرم، أما الحجة السببية فهي تعتمد على الواقع.

١زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠، ص٩٥.

ب) **حجة التبذير**: تحث على مواصلة العمل الذي شرع فيه الشخص وعدم التوقف، وإلا كان مضيعة للجهد، مثال: بما أنك اجتهدت في بداية الدراسة لابد من مواصلة هذا الجهد وإلا لضاع جهدك ورسبت، كالكريم الذي نجده في أشعار القدامى، يبذل ماله لكسب المجد والسمعة الطيبة، حتى وإن أصابته فاقة نجده يواصل كرمه على حساب نفسه، حتى لا يخسر المرحلة التي وصل إليها، من الشهرة الواسعة، والمكانة العالية.

ج) **حجة الاتجاه**: هذه الحجة أن يرفض الشخص أمرا ما، ولا يكون هذا الأمر سيئا بحد ذاته، ولكنه يرفضه لأنه سيؤدي إلى نتيجة هو لا يرغبها. مثل الاهتمام بالطفل وتدليله والقيام بشؤونه، مبدئيا لا ضير فيه، ولكن يرفضه كثير من الآباء لأنه يؤدي إلى نتيجة سلبية، وهي اتكال الطفل، وضعف شخصيته.

٢-٢-وجوه الاتصال التواجد:

أ-**الشخص وأعماله**: هذه الحجة تقوم على ربط ذوات الشخص وصفاته بأعماله، فيقيس المحاج عمل الشخص على حسب شخصيته وصفاتها، مثال: لأنه عالم دين لابد أن يصدر منه كل خير، ولأنه قاض لابد أن يكون عادلا. وهذا الأمر غير صحيح، عالم الدين بشر غير معصوم عن الخطأ، ونجد بعض القضاة متعسفين وقد يتقاضون الرشاوى، فهذه الحجة تحمل شيئا من المغالطة والإيهام. وفي هذا الشأن تقول سامية الدريدي: "ومن هنا يبدو جليا للمتأمل أن هذه الحجة تقوم على شيء غير قليل من السفسطة إذ لا معنى لثبات الشخصية عند الكثيرين بل إن مسئولية الشخص المطلقة على أفعاله ومواقفه تعني بالضرورة أنه حر".[١] وهذه الحجة تعتمد على ما بنى سابقا عن هذا الرجل سواء أكان خيرا أم شرا، فإن صورته السابقة سوف تسم عمله، وعلى ما طبعت شخصيته في عقول الناس سوف يطبع عمله.

١ الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٢٩.

ب) **حجة السلطة:** تكون في أن يذكر الشخص أطروحة ما، ولكي يقنع بها الجمهور يقول: فلان فعل ذلك أو فلان قال ذلك، ولابد أن يكون هذا الشخص الذي يستعين به، ذا مكانة مرموقة بين الناس و موثوقا به، مثل العادات والتقاليد التي يمارسها ويتوارثها الأجيال تلو الأجيال رغم أن بعضها غير صالح لزمانهم، ولكن لأن أجدادهم مارسوها فيتبعونهم، ولأن بعض العقليات العربية ترى كل ماض جيداً وتخشى الجديد، كقوله تعالى:(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**).[1]

يعبدون الأصنام ليس اقتناعا وإنما إتباع، لمن هم أقوى سلطة منهم، وأكثر تأثيرا فيهم، رغم عدم اقتناع بعضهم بالأصنام إلا أنه يعبدها، من أجل أنه وجد أجداده على هذا الحال، وحجج السلطة من أضعف الحجج، لأنه من السهل تفنيدها بسلطة مضادة لها، فتراها تهتز وتضعف.

ج) **حجة الرمز:** هي رموز يستدعيها الباث لتقوية حجته وإيضاحها، وقد تكون هذه الرموز مشتركة بين الناس، أو تكون ذاتية يصنعها الفرد لنفسه، أو محدودة بين أشخاص معينين، وترتبط هذه الرموز بالبيئات الاجتماعية والثقافية، وأنها تتغير وتتنوع وفقا لتنوع البيئات، فما هو رمز يدل على شيء معين عند العرب، قد يدل على شيء معاكس عند اليونان أو الهند أو الفرس، مثل: اللون الأبيض الذي يرمز إلى الفرح عند العرب في المشرق، ويرمز إلى الحزن في الغرب الإسلامي؛ لذلك يشترط في الرمز معرفة دلالته، فلابد للباث أن يعلم ما يمثله هذا الرمز من دلالة عند المتلقين، حتى يوظفه بشكل متقن يخدم حجته، ويساعدها على التأثير والنجاعة.

٣-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

أ-تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

---

١ سورة **البقرة**، آية ١٧٠.

مثل:

النموذج وعكسه: يحضر الباث النموذج، لدعوة المتلقي إلى تقليده والاقتداء به، وعادة يكون هذا النموذج جيدا يحفز على الاهتداء به وسلك خطاه، أو قد يأتي بنموذج معاكس ينفر المتلقي ويجعله يرفض الأطروحة، كأن يقول: لابد أن تكون كريما كحاتم. فيجعل حاتما نموذجه الذي يسعى إلى تقليده والوصول إلى ما وصل إليه. ولا تكون بخيلا كفلان. فينفره من صفة البخل ويبتعد عنها بسبب هذا النموذج البغيض. وقد يجمع في الجملة الواحدة بين النموذج وعكسه: كرم وبخل، شجاعة وجبن، غنى وفقر.

وأرى أن النماذج في الحجج تستعمل من أجل توجيه السلوك وتهذيبه، وهي ناجعة في ذلك، فإن أردنا أن ننهر المتلقي عن سلوك ما لكي يقتنع، فلابد أن نأتي بنماذج سلكت هذا السلوك، ثم وصلت إلى نتائج سلبية. وعكس هذا إن أردناه أن يأتي بسلوك مغاير.

ب) **الاستدلال بواسطة التمثيل:** هذه الحجة تستعين لإيضاح أطروحتها بأدوات البلاغة القديمة من استعارة وتشبيه، وبذلك تكون من أقوى الحجج لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل، لها دور كبير في إيضاح الفكرة وتقويتها، وبذلك تكون صعبة النقض. كقول النابغة الذبياني في مدحه للنعمان: (**طويل**)

أ لم تَرَ أنّ اللهَ أعطاك سَـورَةً تَرَى كلَّ مَلكٍ دُونَها يَتَذَبــذَبُ
بأنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبدُ منهنَّ كَوكَبُ[1]

يشبه الشاعر، النعمان بالشمس وما تحمله من توهج وسطوع، والملوك الآخرين بالكواكب، ويريد أن يوصل للمتلقي أن هذا الملك أقوى من الملوك الآخرين، وأنهم أقل منزلة منه، فهو كالشمس التي حينما تحضر وتسطع لا نرى للكواكب وجودا، أي إن وجوده

١ النابغة زياد بن معاوية، **ديوانه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٧٤.

قوي، ومنزلته رفيعة، بحيث يطغى حضوره على حضور بقية ملوك عصره، وإذا ذكر اسمه فإن أسماء الملوك تتساقط بجانبه لهيبته وقوته.

هذه الحجة تستقي قوتها من التشبيه الذي يقوي حضورها، ويرسخها في الأذهان، ويبرزها للمتلقي، فلو أنه مدح الملك بكلام عادي لا يتضمن التشبيه، لا نجد له القوة، مثل لو قال:

إن الملك له منزلة رفيعة تفوق منزلة الملوك الآخرين ↔ كلام عادي.

إنك كالشمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب ↔كلام يتضمن تشبيها.

يبدو لنا أن التشبيه أقوى من الكلام العادي في إيضاح الصورة، كما أن الكلام العادي من السهل نقضه ونفيه "فما يميز القول التمثيلي أنه يأبى أن يجيء بعده رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل (لكن) و (بل) أي إنه لا يقبل أن يرد في سياق الإبطال أو التناقض الحجاجي".[1]

ونرى أن هذه الحجج قد تلتبس على القارئ المتعجل، فهي تحتاج إلى تريث وتأمل، كما أن الحجج قد تتداخل في البيت الواحد، ويمكن لبعض الحجج أن تتشابه ويصعب تمييزها على الدارس المبتدئ، لاتساعها وشموليتها.

ومن عادة الحجة في الشعر العربي خاصة، أن تأتي ضمنية مستترة، تترك للمتلقي مهمة البحث عنها وإدراكها، مما يزيدها متعة وقوة، وبذلك يضمن الباث انجذاب المتلقي لأطروحته والتأثر بها في الغالب.

وبناء على ماقدمنا في العرض النظري لمفهوم الحجاج وأنواعه، سنحاول تطبيق هذه الضوابط المنهجية في الحجاج على شعر شعراء الأحزاب السياسية في العصر الأموي، وسيكون لقاؤنا بداءة مع شعر الشيعة.

---

١ الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٦٦.

الفصل الأول

(الحجاج في شعر الشيعة)

١) نشأة الحزب الشيعي.

٢) أهم فرق الحزب الشيعي وشعرائهم.

٣) الحجاج في شعر الشيعة.

٤) أهم الحجج الخاصة بالشيعة.

٥) خصائص الشعر الشيعي.

الشيعة في اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب: "الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيع... والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع. وأشياع جمع الجمع: يقال شايعه كما يقال والاه".[1]

وقد كان مصطلح الشيعة في البداية مصطلحا عاما، لا يختص بفئة دون أخرى، وإنما يطلق على أي جماعة أو فرقة، حتى حدث اختلاف المسلمين على الخلافة، فأصبح الاسم خاصا بمن يوالي عليا وأهل بيته، فكل من يدافع عن علي وأهله يكون من الشيعة، بذلك أصبح اللفظ مخصوصا بفئة معينة وهم شيعة علي وأنصاره في ذلك الوقت. وقد جاء في الملل والنحل: "الشيعة هم الذين شايعوا عليا (رضي الله عنه) على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا، ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده".[2]

النشأة: أما من ناحية نشأة هذا الحزب، وبداية الظهور الفعلي لحزب الشيعة على الساحة السياسية، فهناك عدة آراء حول ذلك، منهم من يرى أن التشيع – باعتباره مذهبا –موجود منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وليس بعد الفتنة، ومنهم من يرى أن التشيع وجد بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى ظهرت فئة ترى أن أهل بيت الرسول أولى بالحكم لأنهم أعلم الناس بالكتاب والسنة، ومنهم من يرى أن الشيعة ظهرت بمعناها

---

١ ابن منظور، **لسان العرب**، مادة شيع، ص٢٣٧٧.

٢ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، علق عليه أحمد فهمي محمد، ج١، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣، ص١٤٤.

السياسي في عهد علي رضي الله عنه ولم تظهر بمعناها المذهبي إلا في عهد معاوية، بعد تنازل الحسن (رضي الله عنه) عن الخلافة[1]، ويمكن أن نقسم النشأة إلى:

١-البذرة **الأولى**: وجدت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يكتمل نضجها، ولم تتضح معالمها، ولم تظهر هذه الفكرة حقيقة على الساحة، وإنما كانت أمنيات تضمرها النفوس؛ والسبب وحدة المسلمين آنذاك ومبايعة الصحابة جميعهم -ومنهم علي رضي الله عنه -لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢- **ظهور الشيعة باعتباره حزباً سياسياً**: بعد مقتل عثمان ونشوب الفتنة ظهرت أصوات تنادي بالخلافة لعلي، وتعالت هذه الأصوات والتفت حول علي رضي الله عنه، وأطلق عليهم شيعة علي، وبذلك اتضحت معالم هذا الحزب ونضجت رؤيته وهدفه، وأصبح حزبا سياسيا له ثقله ويخشى منه، ومن خلال "الاحتكام إلى أحداث التاريخ يخيل إلى الدارس المنصف أن هذا المصطلح السياسي لم يظهر مقرونا بعلي إلا بعد نشوب الفتنة الكبرى، ولم يكتسب دلالته الدينية، والمذهبية عند الفقهاء وعلماء الكلام إلا بعد اغتيال علي وتنازل الحسن عن حقه في الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان".[2]

بعد اغتيال علي، وتولي بني أمية الحكم اشتد غضب الشيعة، وحنقهم على بني أمية، خاصة بعد مقتل علي وأهل بيته، وسماح بعض الخلفاء الأمويين بسب علي في المساجد بعد الخطب[3]، ومن يظهر اعتراضه وولاءه لعلي يقتل أو يسجن "وكانت هذه

١ انظر غازي طليمات، عرفان الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ط١، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨، ص٥٩١-٥٩٢.
٢ نفسه، ص٥٩٢.
٣ انظر أحمد الشايب. **تاريخ الشعر السياسي. إلى منتصف القرن الثاني**، ط٦، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣، ص٢٣٠.

القسوة سببا في ضعف الشيعة أيام معاوية، وقصر التشيع على ميدان النظر والعقيدة، لا على ميدان العمل والثورة".[١]

ثم عاد ظهور التشيع في عهد يزيد بن معاوية، فعندما رفض الحسين بن علي مبايعته التف حوله الشيعة، وأرسلوا إليه يطلبونه لنصرته على بني أمية، متأملين عودة الحكم إلى بني هاشم، فكان رفض الحسين مبايعة يزيد له دور في إعادة الأمل إلى الشيعة من جديد وبث روح الثورة على بني أمية.

وللحزب الشيعي فرق عدة أشهرها: الإمامية، والكيسانية، والزيدية، والغلاة. ويتفقون على رأي واحد وهو حق خلافة علي على المسلمين.

الإمامية: يرون أن عليا هو الإمام بعد الرسول عليه الصلاة والسلام وهو خليفة المسلمين، ومن بعده أبناؤه من فاطمة، لا تخرج الخلافة عنهم، وقد تبرؤوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنهما تقدما على علي في الخلافة، ويرون أن الإمام معصوم عن الكبائر والصغائر، ومن أشهر شعراء الإمامية أبو الأسود الدؤلي.[٢]

الكيسانية: يتزعمها المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولهم آراء وهي: إن الخلافة لعلي وأبنائه، ومن يتولى الخلافة من غير نسل علي فهو جائر غاصب، وأن الإمام فيه قبس إلهي، ويدينون بالتقية وهي التظاهر بالولاء للأعداء خوفا من بطشهم، ومن أشهر شعرائهم كثير بن عبد الرحمن، والسيد الحميري.[٣]

---

١ أحمد الحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ط٦، القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧، ص٣٤.
٢ انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٦٣.
٣ انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٤٨. و الحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ص٤١-٤٦.
- الزيدية هم الذين قالوا بجواز تولية المفضول مع وجود الفاضل، لذلك لم يبرأوا من خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

الزيدية: تعود هذه الفرقة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهذه الفرقة أكثر الفرق الشيعية اعتدالا إذ إنها لا تبرأ من أبي بكر وعمر*، ولا يغالون في تعظيم الإمام، ويحصرون الخلافة في أبناء علي من فاطمة، ولا يضيفون على الإمام خصائص روحية، ويرون أنه بشر يخطئ ويصيب وطاعته واجبة ولا يؤمنون برجعة المهدي المنتظر، ولا يأخذون بمذهب التقية. ومن أشهر شعرائهم الكميت بن زيد الأسدي.[1]

الغلاة أو الرافضة: وهم يغالون في تقديس علي وأبنائه تقديسا يتجاوز العقل إلى درجة أنهم قالوا: إن الله أرسل جبريل إلى علي ولكنه أخطأ في الرسالة فبدل من أن يوصلها إلى علي أوصلها إلى محمد، ومنهم من زعم بأن عليا هو الله.[2]

كان شعرهم السياسي متنوعاً، فهو احتجاج، وهجاء لأعدائهم من الأمويين، ورثاء لقتلاهم في المعارك والسجون، وبرغم كثرة أشعارهم وتنوع فنونها إلا أن موضوعها واحد: هو الحجاج على شرعية الحكم لآل الرسول صلى الله عليه وسلم، واسترجاع حقهم المسلوب.

الحجاج في شعر الشيعة:

إن البحث في بنية الحجاج، واستخراج الحجة من الأبيات الشعرية، يتطلب مزيداً من دقة النظر في تفاصيلها، وبيان نوعها ومقوماتها، حتى لا تلتبس علينا الحجج لشدة الشبه بين بعض أنواعها، كما ذكرنا سابقا.

نرى أن الباث يهتم في المقدمات التي تسبق حجته، تمهيداً لعرض الدعوى وإقامة الحجة عليها، وعادة تكون هذه المقدمات متفقاً عليها بين الباث والجمهور، وهي من

---

١ انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١،ص١٥٣. والحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ص٥٠-٥١.

٢ انظر الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص١٧٦. والحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، ص٥٣.

المسلمات والمفاهيم المتعارف عليها، وإذا نظرنا إلى الشعر السياسي نجد أن شعراء الشيعة يطالبون بالحكم لعلي، فحينما يأتي المحاج يقدم لحجته، يذكر المسلمات المتفق عليها بينه وبين المتلقي، كأنْ يذكر الصفات الحميدة مثل: العدل، الشجاعة، السماحة، الكرم، وغيرها، ثم يذكر دعواه ويأتي بالحجج كقول السيد الحميري: (**الكامل**)

وهُو الذي يَسِمُ الوجوهَ بِمِيسمٍ حتى يُلاقي خَصمَهُ مَوسومـــا
ما زالَ مذ سلكَ السبيلَ محمـدٌ ومضى لغيرِ مَذلّةٍ مَظلومـــــا
ضامَته أُمّتُه وضَيمُـــهمُ لـــــهُ قد كانَ أصغرَ ما يكونُ عَظِيما[1]

يذكر الشاعر في البداية شجاعة علي، وأنه لا يترك خصمه حتى يسم وجهه في الحرب، ثم يذكر إنه في عهد الرسول كان عزيز قومه لا يهضم له حق، لأن الرسول كان إلى جانبه، ومنذ وفاته ظلم علي من أمته، وهذا أمر غير عادل، لابد من إعادة النظر فيه.

قد يبالغ المحاج في الحجج والبراهين على دعوته، مخاطباً الخيال والعاطفة في الجمهور، والذي يخاطب الخيال والعاطفة يكون بعيداً عن المنطق وإعمال العقل، يلامس القلوب ويحرك المشاعر، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن مدى مصداقية الحجة وحقيقتها.

اعتقد أن الحقيقة في أغلب الحجاج نسبية، لأن المحاج يسعى إلى تضخيم قضيته، وجمع الحجج وتلميعها، وإضافة لمسات ذاتية، تخدم ميول الباث الشخصية، باستثناء الحجاج المنطقي الذي يخاطب العقل بأدلة ثابتة، تسعى إلى الإقناع والاقتناع، وقد قسم مؤلفا (مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة) الحجاج قسمين بحسب نوع الجمهور هما "الحجاج الإقناعي L'argumentation persuasive وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص L'auditoire particulier والحجاج الاقتناعي L'argumentation convaincante وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل... أمكن لنا أن نقول إن المؤلفين يجعلان الاقتناع -وهو عقلي

١ إسماعيل بن محمد الحميري، **ديوانه**، تقديم نواف الجراح، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٩، ص١٤٤.

دائما- أساس الإذعان، وأساس الحجاج، وأن الإقناع بما هو ذاتي وخاص وضيق لا يعتد به في الحجاج".[1]

وقد ذكرت سابقا أنني اعتمدت تصنيف برلمان وتيتيكا في كتابهما المصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة. وقد استخرج عبد الله صولة هذا التصنيف في مقاله في الكتاب المذكور أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، وعلى هذا المقال اعتمدت في تصنيف الحجج التي سوف أدرسها في هذا الفصل وفي الفصول القادمة.

- **التناقض وعدم الاتفاق:** (Incompatibilite)

إن التناقض في الحجة يعد فرصة جيدة يغتنمها الخصم الفطن، بل قد يحولها إلى استهزاء بالمحاج الآخر، ليكسب به استمتاع الجمهور والميل إليه.

وقد فطن شعراء الشيعة لهذه الفرصة، واغتنموها في مخاطبة عقل الجمهور، من خلال إيضاح التضاد في بعض حجج بني أمية، يتقصد أن يأتي المحاج بحجة الطرف الآخر، ليبين للمتلقي أنها من حجج المغالطة والسفسطة، من خلال تنميق حجة مضادة لحجة الطرف الآخر ونقيضه، كما نجد ذلك عند الكميت بن زيد* الذي أزال الستار عن التناقض في حجج الأمويين من ناحية الخلافة، فيتعجب باستهزاء ويقول: (**الطويل**)

وقالُوا وَرِثناها أبَـــانَا وأُمنَـــا وما وَرَّثَتهُـم ذاكَ أُمٌ ولا أَبُ
يَرَونَ لَهُم فَضلاً على الناسِ واجباً سَفَاهاً وحَقُّ الهاشِمِيينَ أَوجَبُ
ولَكِن مَوارِيثُ ابْنِ آمِنَةَ الـــذِي بِهِ دَانَ شَرقِي لَكُم ومُغَـرِّبُ [2]

من حجج بني أمية أنهم ورثوا الخلافة، فيرد عليهم الشاعر حجتهم بحجة أخرى، أنهم لم يرثوها عن آبائهم ولا أمهاتهم، إنما اغتصبوها، فقولهم باطل، كيف يتحدثون عن

---

١ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٠١.

*ويوجد في الشعر العربي ثلاث كميتات: الكميت بن ثعلبة، الكميت بن معروف، الكميت بن زيد.

٢ الكميت بن زيد الأسدي، **هاشمياته**، تحقيق داود سلوم، نوري القيسي، ط٢، بغداد: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ، ص٥٩.

وراثة الحكم وهم القائلون إن الخلافة شورى بين المسلمين، وليس فيها وراثة عندما طالب بنو هاشم بالخلافة، وأنه من سفاهة عقولهم أنهم يطالبون بالطاعة الواجبة، والتي هي أساسا من حق بني هاشم المهضوم، ووراثة الحكم هي من صالح بني هاشم، لأنهم من ورثة النبي ويدين بها مشارق الأرض ومغاربها، ولا يخفى ذلك على كل مسلم.

حرص الشاعر على أن يصور التناقض بين أقوال الأمويين وأفعالهم والواقع الذي يراه فعرضها لنا كالتالي:

حجة: أنتم تقولون بأنكم ورثتم الخلافة.

رد الحجة ونقضها: لم يكن أبوكم حاكما ولا أمكم، كيف ورثتموها؟ ومن أين؟

استنتاج: إذا كانت الخلافة بالوراثة فإن بني هاشم أحق بها بسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب إليهم منكم وهو من وحد المسلمين، وجمع العرب تحت راية الإسلام.

استغل الكميت بن زيد التناقض في قول بني أمية ليرد الحجة عليهم. وحجة التناقض وعدم الاتفاق تعتمد على "تكوين رد فعل مضاد من قبل الخطاب الثاني يتجلى في عناية مفرطة واستيعاب، وإعادة تأسيس وإعادة إنتاج لغة الخطاب الأول"[1]، ليكون له حجة جديدة مناقضة، تسير عكس اتجاه حجة الخصم.

وفي إطار المناقضة أيضا نجد الكميت بن زيد يقول: (**الطويل**)

يَقُولُونَ لَمْ يُورَثْ ولَولا تُراثُـــــه ... لَقَد شَرِكت فِيهِ بَكِيلٌ وأرحَبُ
وعَكٌّ ولَخْمٌ والسكُونُ وحِمـــــيَرٌ ... وكِندَةُ والحَيانِ بَكرٌ وتَغلِـــــبُ
ولانتَشَلَتْ عِـضوَينِ مِنها يُحـابِرٌ ... وكانَ لِعَبدِ القَيس عِضوٌ مُؤَرَّبُ
ولانتَقَلَت من خِندِفٍ في سِواهُـمُ ... ولاقتَدَحَت قَيسٌ بِها ثُم أَثْقَبُـوا
وماكانَتِ الأنصارُ فِيهـــــا أذِلةً ... ولاغُيباً عَنها إذا الناسُ غُيـــــبُ

١ عبد الفتاح أحمد، **الخطاب السجالي في الشعر العربي، تحولاته المعرفية ورهاناته في التواصل**، ط١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤، ص٢٤٢.

هُمُ شَهِدُوا بَدرا وخَيبَرَ بَعدَهـــا ويَومَ حُنَينٍ والدماءُ تَصَبَـــبُ [1]

أي إن بني أمية يحتجون بأن الخلافة لا تورث، حينما يقال لهم إن الخلافة من حق بني هاشم، لأنهم ورثة الرسول، يرد عليهم الشاعر الباث هذه الحجة بأنها "لولا تراث –النبي صلى الله عليه وسلم –وأن أهل بيته أحق بالخلافة وهم ورثته–لكان من ذكر من القبائل كلهم شركاء في الخلافة وكانت قريش وغيرها سواء في ذلك، والأنصار خاصة كان يكون لهم أوفر النصيب لنصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ الناس غيب عن طلب الخلافة والأمر، ولكانت الأنصار لا تغيب عنها لولا تراث النبي صلى الله عليه وسلم".[2] ينتهج الشاعر في حججه الجدال العقلي الخالي من الخيال والمغالطة في رد حجج الخصم ونقضها، إضافة إلى أن هناك مقصدا خفيا وأهدافا، وهي إثارة غضب الناس على بني أمية المطالبين بالحكم، لأنهم قالوا إن الخلافة لا تورث، وهم لم يرثوها، ولكنهم يرون أنفسهم أحق الناس بها.

حجة = الخلافة لا تورث / حجة مضادة = إذاً من حق جميع العرب الخلافة.
هدف خفي = تحريك الثورة على بني أمية لـ "غاية" نزعهم من السلطة.

وقد سلك الكميت بن زيد مسلك المعتزلة في الجدال واعتمد المنطق في الحجاج، وكان يختلف عن غيره من الشعراء في الجدال والحجاج فقد صاغ مناظراته شعرا "والكميت في هاشمياته يصدر عن ذوق جديد لا نعرفه لشاعر من قبله، ذوق عقلي... إذ أخرج الشعر من أبوابه القديمة إلى باب جديد، هو باب التقرير والاحتجاج للعلويين والدفاع عنهم".[3] يقول: **(الطويل)**

وما ضَرَبَ الأمثالَ في الجَورِ قَبلَنا لأَجوَرَ من حُكامِنا المتَمَثـــلُ

---

١ الكميت، **ديوانه**، ص٦٢.
٢ نفسه، ص٦٤.
٣ شوقي ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط١١، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٧، ص٢٧٦.

هُمُ خَوفُونا بالعَمَى هُوةَ الـــردَى كما شَب نارُ الحالِفِينَ المهَولُ*
لَهُم كُل عامٍ بِدعَةٌ يُحدِثُونَهَـــــا أَزَلوا بِها أَتباعَهم ثُم أَوحَلُـــوا
وعَيبٌ لأَهلِ الدينِ بَعدَ ثَبـــاتِهِ إلى مُحدَثاتٍ لَيسَ عَنها التنَقلُ
كَما ابتَدَعَ الرهبانُ ما لَم يَجِئ بِهِ كِتابٌ ولا وَحيٌ من اللهِ مُنـــزَلُ
تَحِل دَماءُ المسلِمِين لَدَيهُـــــم ويَحرُم طَلعُ النخلةِ المتَهَـــــدلُ[1]

هذه الأبيات مملوءة بالتناقضات، فحينما يقول إنه لم يضرب مثلا في الجور والظلم، ولم يستطع أحد أن يتفوق عليهم في ذلك من قبلهم، فقد بلغوا من الجور أن ابتدعوا في الدين وحرموا الحلال وأحلوا الحرام، فهو يشبه أفعال الأمويين بأفعال الرهبان الذين يأتون بأحكام لم يأت بها كتاب ولا وحي من الله، بل من أنفسهم، وأن من تناقض الأحكام لديهم أنهم يحلون سفك دماء المسلمين ويحرمون ثمار النخل المتهدل، وضعهم الشاعر هنا في قمة المناقضة في أحكام الدين والتلاعب بها على حسب ما تشتهيه النفوس.

نجد في هذه الأبيات عدة حجج:

ح ← حكام ظلم وجور

يتلاعبون بأحكام الدين حسب أهوائهم

بل إنهم يبتدعون ويحدثون في الدين شيئا لم ينزل من عند الله

تناقض في سياستهم للرعية

ن = لابد من الثورة عليهم ونزع سلطانهم.

نجد الكميت بن زيد يدعو إلى هذه النتيجة في قوله: (**الطويل**)

- المهول: المستخلف، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أن يحَلِّفُوا رجلاً أوقدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً وقالوا إن حلفت كاذباً لم يأت عليك الحول ولك مال، وأراد نار القربان.

١ الكميت، **ديوانه**،ص١٦١.

فيا رَب هَل إلا بِكَ النصرُ نَبتَغِي عَلَيهِم وهَل إلا عَلَيكَ المُعَولُ[1]

المقتضى = بنو هاشم أفضل من بني أمية.

استخدم الشاعر (حجة التناقض) في مواجهة خصمه، محاولا بذلك تصور حال الأمة البائسة في ظل الحكم الأموي، وعدم المساواة بين الرعية. فمن كان يقف إلى جانب الحزب الأموي يكرم، ومن يقف ضدهم تغلق الأبواب في وجهه، حسب نظرة الشاعر إلى الحكم الأموي، فيصور لنا ذلك ويقول: (**الوافر**)

أَجاعَ اللهُ مَن أَشبَعتُمُـــــوهُ وأَشبَعَ مَن بِجَورِكُمُ أُجيعـــــا[2]

مازال الشاعر يردد (جوركم) ويراد بهذا التكرار التأكيد وتقوية الحجة وتثبيت هذه الصفة في ذهن المتلقي، إلى جانب التكرار، وظف الطباق لجذب الانتباه وإثارة الجمهور من خلال استخدام ألفاظ ضدية تستهوي المتلقي العربي، ولعل الباث الذكي يعرف مدى أهمية التكرار غير الممل في الحجة ويلجأ "من خلال التكرار إلى خلق غايات جمالية في الخطاب، لعل من أهمها: إحداث أثر في المتلقي، والاستحواذ على فكره، لأن الذات تتكون في هذه اللحظة من خلال تداعيات شتى وأعراف وتقاليد لا تهتز تحت وطأة التبعية، وتعلن عن حضورها باستمرار من خلال حوارها مع الآخر... فالتكرار ظاهرة لسانية، يؤدي دوراً مهماً داخل الخطاب الأدبي، يتمثل في إحداث تجانس بين العبارات من حيث الوزن الصوتي والصرفي، متجاوزاً وظائفه التقليدية المعروفة في النقد التقليدي، ليصبح في النقد الحديث أداة معرفية يستخدمها الشاعر لتطوير المعنى في خطابه أو نصه".[3]

- **حجة التمثيل**: (Lanalogie)

إن الاستدلال بواسطة التمثيل، يعد من أكثر الاستدلالات في الشعر خاصة، لأن الشعر يرتكز على الخيال والتصوير، وحجة التمثيل تبني قاعدة واقعية تبحث عن الترابط بين العلاقات، من خلال الاستشهاد أو التشبيه... ولكل منهما غاية، "لئن كانت الغاية من

١ نفسه، ص١٦٤.
٢ نفسه، ص١٩٨.
٣ أحمد، **الخطاب السجالي في الشعر العربي**، ص٢٢٨.

المثل تأسيس القاعدة فإن الاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام. وتقوي حضور هذا القول في الذهن. وعلى هذا فإن الاستشهاد يؤتى به للتوضيح، في حين المثل يؤتى به للبرهنة ولتأسيس القاعدة. وعلى العموم فإن المثل يكون عادة سابقا للقاعدة في حين يكون الاستشهاد لاحقا قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجردة حسية وملموسة".[1]

إذا نظرنا إلى شعر الشيعة السياسي وجدنا الاستشهاد بالقرآن كثير، فهم لم يتركوا مجالا للحجة إلا طرقوه، بحثا عن إثبات حقهم الذي يريدونه، لأن الشيعة ترى أن الخلافة حق من حقوق الهاشميين، لأنهم آل البيت وورثة الرسول وعلي وصي الرسول، وابن عمه، وزوج ابنته، ولأن أبناءه أسباط الرسول، لذلك غضبوا من الأمويين حين آلت إليهم الخلافة. ولعل الأمويين استفزوا المسلمين والشيعة خاصة حينما أخذوا الخلافة عنوة وحصروها في بني أمية، إضافة إلى قتل كثير من بني هاشم ومن والاهم، مما أدى إلى حنق النفوس على بني أمية والدعوة إلى الثورة لعزلهم، فنتج أدب شيعي يذكر فضائل أهل البيت ويرثي موتاهم، ويدافع عن أحقية الخلافة لبني هاشم، يقول الكميت بن زيد مستشهدا ومتمثلا: (**الطويل**)

بِخاتِمِكُم غَصباً تَجُوزُ أُمُورُهُـم ... فَلَم أرَ غَصباً مِثلَهُ يُتـغَصـــــبُ
وَجَدنا لَكُم في آلِ حامِيمَ آيةً ... تَأَوَّلَها مِنا تَقِي ومُـعـــــــرِبُ
وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابَعَـــت ... لَكم نَصَبٌ فِيها لِذِي الشك مُنصِبُ*
بِحَقِكُمُ أَمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا ... وبالفَذ مِنها والرديفَيْنِ نُرَكَـــــبُ
إذا اتَضَعُونا كارِهِينَ لِبَيعَـةٍ ... أَناخُوا لأُخرَى والأزِمةُ تُجَـــــذَبُ
رُدَافَى عَلَينا لَم يُسِيُموا رَعِيـة ... وهَمهُمُ أن يَمْتَرُوها فَيَحلُبُـــــوا
لِيَنتَجُوها فِتْنَةٍ بَعدَ فِتنَـــةٍ ... فَيَفتَصِلُوا أَفلاءَها ثُم يَرْبُبُـــــوا
أَقارِبُنا الأَدنُونَ مِنهُم لِعَلـةٍ ... وساسَتُنا مِنهُم ضِـــــباعٌ وأذؤُبُ

* لكم نصب منصب: متعب للشاكِ فيها لا يقدر أن يتأول هذه الآيات في غيركم.

١ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٧.

لَنا قائِد مِنهُم عَنِيفٌ وسائِقٌ يُقَحّمُنَا تِلكَ الجَرَاثِيمَ مُتعِـــــــبُ[1]

هذه الأبيات ذات رؤية سياسية واضحة وصريحة، تعلن بكل جرأة العصيان على بني أمية، والمطالبة بحق الهاشميين في الخلافة، احتوت على مجموعة من الحجج الصريحة والمضمرة، تعتمد على طرفين: الأنا والآخر، والرموز والدلالات التي تشير إلى معان عدة.

يحاول الشاعر أن يجمع لرأيه البراهين التي تعينه على إيضاح الفكرة وتقويتها وتقديمها على أنها صاحبة حق.

فالأبيات السابقة مملوءة بالحجج البينة، يقول الكميت بن زيد:

بِخاتِمِكُم غَصباً تَجُوزُ أُمُورُهُم فَلَم أرَ غَصباً مِثلَهُ يُتغَصبُ

(بخاتمكم) يشير بهذه الكلمة إلى الخلافة المغتصبة، والكاف تعود إلى بني هاشم، بمعنى أن هذه الخلافة التي ليست من حقهم وهي من حقكم، وقد أخذوها كرها وسيروا أمور الناس بها أيضا كرها، فيتعجب الشاعر من هذا الاغتصاب الجائر لحق بني هاشم وتصرفهم فيه، دون مراعاة الله في ذلك، لذلك نجده يستدرك هذا الأمر في البيت الثاني ويذكرهم بآيات الذكر الحكيم التي تشهد أن لبني هاشم حقا في الخلافة، وقضيته هنا بينة واضحة، أن الخلافة حق بني هاشم، وليست من حق بني أمية. ثم تابع أبياته بحجج تثبت هذا الحق، محاولا إقناع المتلقي بحجته ودحض الحجة الأخرى.

ومن مقومات هذه الحجة:

- استشهاد قرآني.
- تشبيه بلاغي.

يقول:

وَجَدنا لَكُم في آلِ حامِيمَ آيةً تَأَوّلَها مِنا تَقِـــــــي ومُعـــــــرِبُ

وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابَعَـــت لَكم نَصَبٌ فِيها لِذِي الشك مُنصِبُ

[1] الكميت، **ديوانه**، ص٥٥.

لعل من أقوى الأدلة هو الدليل القرآني، الذي يؤمن به جميع المسلمين ولا يستطيع المناقض أن يدحض هذا الدليل إلا بدليل مواز له بالقوة، ويكون من القرآن الكريم نفسه. "لكم: لبني هاشم. والآية قوله تعالى:(لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ). قال إنما أراد احفظوني لقرابتي منكم لأنه ليس بطن من قريش إلا وقد ولده، والمعرب: المبين، أي بين الخروج معهم، يقال: إنه لعربي بين العرابة"[1]، ويذكر وجود أدلة كثيرة من القرآن الكريم غير آل حاميم، تدل على أن الخلافة لبني هاشم؛ لأنهم أقارب الرسول ووصى بهم الله ورسوله منها قوله تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[2]، وقوله تعالى:(وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّه)[3]، وقوله تعالى:(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ)[4].

هذه أدلة من القرآن الكريم يستشهد بها الشاعر ويدعو المتلقي إلى العودة إليها؛ ليدرك حقيقة الأمر وصحة حجته التي يدلي بها.

ثم ينتقل إلى القسم الآخر من الأدلة وهو ما يستمتع به العربي ويستسيغه، وهو التشبيه البلاغي إذ إن له دورا كبيرا في إيضاح الصورة وتقويتها، يريد الشاعر أن يبين حال المسلمين تحت حكم بني أمية، بصورة تؤثر في المتلقي وتجعله يستجيب له ويقتنع، فما كان منه إلا أن يصف الحال في تشبيه بلاغي يغذي الصورة في ذهن المتلقي المحايد.

يقول الكميت بن زيد:

بِحَقكُمُ أَمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا وبالفَذ مِنها والرِدِيفَيْنِ نُرَكَبُ

إلى قوله:

لَنا قائِد مِنهُم عَنِيفٌ وسائِقٌ يُقَحمنا تِلكَ الجَرَاثِيمَ مُتعِبُ

نجد في القصيدة تكرار الكاف العائدة على بني هاشم وترتبط هذه الكاف بالحق، وكأنه يريد في كل مرة أن يذكر بأن الخلافة مغتصبة من بني هاشم. والصورة الشعرية في هذه

---

١ نفسه، ص٥٥-٥٦.
٢ سورة **الأحزاب**، آية ٣٣.
٣ سورة **الأسراء**، آية٢٦.
٤ سورة **الأنفال**، آية٤١.

الأبيات تتمثل في تشبيه شيعة آل البيت بالبعير الذي يركبه كرها منه وقهرا واحد تلو الواحد يترادفونه، مثله تماما شيعة علي يحكمهم بنو أمية كرها منهم، ويتوارثون الحكم واحد بعد الآخر. ثم ينتقل ليدلل على سوء حكم بني أمية، بأنهم يعادون الرعية ويقسون عليهم كقسوة أولاد العلة وعداوتهم، ويحكمونهم كالذئاب التي تفترس البهائم دون رحمة.

القضية	الدليل
الخلافة حق بني هاشم وسواهم مغتصب.	آيات من الذكر الحكيم.
بنو أمية لا يجيدون الحكم.	تشبيه بليغ يصف حال الرعية تحت حكمهم.
بنو أمية فشلوا في التودد إلى رعيتهم وكسب ولائهم.	يعاملون الرعية بعنف ومعاملة أولاد العلة وكالذئاب.

النتيجة المضمرة التي يهدف إليها الباث: الثورة على بني أمية، وخلعهم من الخلافة، ورفض حكمهم، ومبايعة بني هاشم أصحاب الحق.

- **حجة السلطة:** (Argument d'autorite)

هي الاستشهاد بقول شخصية ذات قوة مؤثرة في المتلقي، ويحرص الشيعة على الاستشهاد بالقرآن والسنة في حججهم، لأنهم يعلمون مدى تأثير هذين المصدرين على المسلمين، والاستشهاد يعد أسلوبا غير مباشر في الحجج يضفي عليها نكهة مميزة خاصة إن كان صادرا من شخصيات مؤثرة في المتلقي "وهو ظاهرة لسانية تسمى الأسلوب غير المباشر... يتمثل في نقل أقوال مكتوبة أو شفوية صادرة من متكلم آخر غير الذي يستشهد وذلك بأكثر أمانة ممكنة... من أجل إحداث تأثير تصديقي في الحجاج".[1]

١ باتريك شارودو، **الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى**، ترجمة أحمد الودرني، ط١، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩، ص٩٤.

وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة المسلمين، وله مكانة بينهم وسلطة، فقد احتج الشيعة بأن الرسول وصى بعلي رضي الله عنه، واتخذه وصيا له، لذلك يرون أنه هو وأبناءه أحق بالخلافة؛ لأن الرسول رأى فيه الخير للأمة من بعده؛ لذلك اتخذه وصيا، يقول السيد الحميري: (**السريع**)

من كنتُ مولاه فهذا لـــهُ ... مولّى فلم يَرضَوا ولم يَقنَعـــوا
فاتهموهُ وانحنَت منهـــمُ ... وعلى خلافِ الصادقِ الأضلُعُ
وظل قومٌ غَاظَهُم قولُـــه ... كأنما آنافُهـــمَ تُجـــدَعُ
حتى إذا وارَوهُ في قـــبرِه ... وانصرفوا من دفنِهِ ضيِّعـــوا
ما قال بالأمسِ وأوصى بهِ ... واشتَروا الضُر بما يَنفـــعُ
وقطعوا أرحامَه بعـــدَهُ ... فسوف يُجزون بما قـــطعوا
وأزمعوا غدراً بمولاهـــمُ ... تباً لما كانوا به أزمَعـــوا [1]

يحتج الكميت بن زيد في المعنى نفسه: (**الوافر**)

وأَصفاهُ النبِي على اختِيـــارٍ ... بما أَعيَى الرفُوضَ لَهُ المُذِيعا
ويَومَ الدوحِ دَوحِ غَدِيرِ خُم ... أَبانَ لَهُ الولايَةَ لو أُطِيعـــا
ولَكِن الرجالَ تَبايَعُوهـــا ... فَلَمْ أَرَ مِثلَها خَطَراً مَبِيعـــا [2]

ويقول أيضا: (**البسيط**)

إن الرسُولَ، رَسُولَ اللهِ قالَ لَنا ... إن الوَلِي عَلِيٌّ غير ما هَجَـرا
في مَوقِفٍ أَوقَفَ اللهُ النبِيَ بـــهِ ... لَم يُعطِهِ قَبْلَهُ من خَلقِهِ بَشَرا [3]

يحتج كل من الكميت بن زيد والسيد الحميري بأن الرسول قد وصى بولاية علي ومحبته في غدير خم، والسيد الحميري عرض حجته ثم أتبعها بتهديد، وكأنه يخاطب اللاوعي

١ الحميري، **ديوانه**، ص١١٨.
٢ الكميت، **هاشمياته**، ص١٩٧.
٣ نفسه، ص٢٠٢.

في المتلقي، ويدس تحت الحجة معنى خفيا: إذ لم يأخذ بوصية علي وولايته، فإنه أيضا سيلقى جزاءه في الدنيا والآخرة، لأنه خذل الرسول وقطع أرحامه ولم ينصرهم.

وعلى النهج نفسه كان الكميت بن زيد يمزج الحجة بالتحذير:

ولَكِن الرجالَ تَبايَعُوها فَلَم أَرَ مِثلَها خَطَراً مَبِيعا

يتعجب من هؤلاء الرجال الذين ضيعوا وصية الرسول فلم يأخذوا بها، ويرى أن هذه البيعة تجر عليهم الخطر الأكيد.

حجة الوصاية لعلي تعد حجة مساعدة لقضية أساسية، يهدف إليها الشاعر وهي خلافة علي للمسلمين، لذلك كان أقرب شيء إلى المسلمين هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان الباث ذكيا حينما بحث في النصوص الأقرب إلى قلوب المتلقين، وبثها في شعره لتسند قضيته الأساسية، "والعادة في الحجاج ألا تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه إنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنيا بحجج أخرى غير حجة السلطة، كما أنه كثيرا ما نعمد إلى الثناء على هذه السلطة من قبل استخدامها حجة في كلامنا".[1]

- **الحجة السببية**:(Causal argument)

هي ربط بين حدث وسبب، أي (أنني فعلت هذا الأمر؛ لهذا السبب)، وقد ربط كثير من شعراء الشيعة حبهم لبني هاشم بسبب أنهم من أهل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد احتجوا بذلك خاصة حينما نجد من يعاتبهم في هذا الحب، بل إننا نجدهم جازمين في حبهم جادين غير مرغمين، يردون على من يراجعهم في ذلك ردا قاسيا ويقرون بحبهم بشكل صريح غير مضمن ولا مبهم، يقول الكميت بن زيد*: (**الطويل**)

ولَكِن إلى أهلِ الفَضائِلِ والنهَى وخَيرِ بَنِي حَواءَ والخَيرُ يُطلَبُ
إلى النفَرِ البيضِ الذِينَ بِحُبهم إلى الله فِيما نابَنِي أتَقَـــــرَبُ
بَنِي هاشِمٍ رَهط النبِي فإنــنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِراراً وأَغضَبُ[2]

---

١ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٥.

● مطلع قصيدته البائية: طَرِبتُ وماشَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ وَلاَ لَعِباً مِنّي أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ ويروى

٢ الكميت، **هاشمياته**، ص٤٥.

يرى الشاعر أنه يتقرب من الله بحب بني هاشم، فهو يعد ذلك حجة يواجه بها من يصده عن حب بني هاشم ويعتب عليه، ويذكر لنا أسباب حبه لبني هاشم؛ وذلك لأنهم أهل فضائل، ونهي عن منكر، وأمر بالمعروف، إضافة إلى ذلك خير بني حواء، ويقصد بذلك إلى نسبهم العائد إلى الرسول، ثم نجده يؤكد ذلك في البيت الذي يليه، بأن حبهم تقرب إلى الله وأنهم عترة النبي ورهطه.

الشاعر هنا يقصد بحججه أمرين: ما هو مخفي، وما هو ظاهر، أما المقصد الظاهر فهو أن بني هاشم يستحقون الخلافة، لأنهم:

- أهل الفضائل.
- ينهون عن المنكر.
- خير بني حواء لأن نسبهم ينتهي إلى الرسول.
- من قبيلة الرسول بني هاشم.

أما المقصد الخفي فهو: إن الأمويين لا يستحقون الخلافة، لأنهم ليسوا أهل فضائل، ولا دين ولا نهي عن منكر، وليس فيهم الخير، ولا صلة قوية كأبناء هاشم رهط النبي.

نجد في بداية البيتين (لكن) أتت للاعتراض، وكثيرا ما يأتي بعد (لكن) من حجج تكون أقوى تأثيرا من التي قبلها، ثم نجده يعدد هذه الحجج، ليذكر الناس بفضل بني هاشم، ولماذا هم يستحقون الخلافة أكثر من الأمويين، وبعدها يأتي مؤكداً بشدة في قوله (فإنني) اعتراف وإقرار منه بالحب الشديد، والميل إليهم.

نجد في قوله (بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب) تقديماً وتأخيراً والأصل قوله بهم أرضى ... ولهم أغضب، ولكن هنا قدم وأخر، ليس فقط من أجل المناسبة الموسيقية في القصيدة، وإنما ليؤكد بشدة أنه لا يرى غيرهم يستحق الخلافة.

نجد في هذه الأبيات (حجة سببية) وهي: إنه يحب بني هاشم بسبب أن حبه يقربه إلى الله، وأن هناك سببا يؤدي إلى نتيجة إيجابية لذلك هو يفعله:

حجة + سبب = نتيجة إيجابية.

"ومعنى هذا أن في الرابط السببي يكون المرور في الاتجاهين: من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب وفي هذا الإطار يمكن أن نتحدث عما يسميه برلمان الحجة البراغماتية... وحد هذه الحجة أنها الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا كان للحجة البراغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك وعدت من أهم وسائل الحجاج".[1]

- **حجة التعدية** :(Argument de transitivite)

تعتمد على القواعد الرياضية، وأنها تورد أمراً ليس لذاته، وإنما لما يتصل به، فهي تأتي بوسيط لغاية خلف هذا الوسيط، كما نجد عند الشيعة حينما يوالون بني هاشم ليس لذاتهم وإنما يقصدون الرسول بذلك، وترتبط حجة التعدية دائما بحب آل البيت والتمسك بهم. مثل قول أبي الأسود الدؤلي: (**الوافر**)

يقول الأرذَلونَ بنو قُشَـــــيرٍ طَوالَ الدهر لا تنسى عَلِيـا
فقلتُ لهم: وكيف يكونُ تركي من الأعمالِ ما يُقضى عَلَيا
بنو عَم النبي وأقْرَبـــــوهُ أحب الناسِ كُلهم إلَيـــــا[2]

يقول أيضا:

أمُفَندي في حُب آلِ محمدٍ حَجَرٌ بفيكَ فدَع ملامَك أو زِدِ
مَن لم يكن بحبالهم متمسكاً فليعتَرِف بولاء مَن لم يرشُـــدِ[3]

أبو الأسود الدؤلي يرد بصرامة على من يراجعه في حب آل البيت، بل إنه يتعجب ممن يسأله، كيف لا يحب بني عم الرسول وأقرب الناس إليه!، وفي الأبيات الأخرى كان رده قاسيا حينما قال: (حجر بفيك فدع ملامك أو زد). فإنه حتما لن يدع حب علي؛ لأن

١ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''، ص٣٣٣.
٢ ظالم بن عمرو الدؤلي، **ديوانه**، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨، ص ١٥٣.
٣ نفسه، ص٣٣٤.

خلف هذا الحب، حب الرسول الذي هو غايتهم، بل إنه يرى حبهم من الرشد، ومن لم يعترف بولائهم فقد ضل، وهذا الرد القاسي يبين لنا ما يعانيه حزب الشيعة من ضغوط نفسية في ذلك الوقت، يتضح ذلك لنا من خلال أشعارهم المملوءة بالغضب والدعوة إلى الثورة والمناداة بالعدل.

فمن حجج أبي الأسود الدؤلي في حبه لآل البيت:

لماذا تحبون آل البيت؟

- لأنهم آل البيت وعترة الرسول.
- لأن في حبهم رشدا.
- لأن حب غيرهم ضلال.

نتيجة: وجوب محبة آل البيت وطاعتهم طاعة للرسول ومن يتبعهم فقد هدي.

هذه الحجة تعتمد على معادلة رياضية كالتالي:

أ = ب ، ب = ج . النتيجة: أ = ج

أي إن حجة التعدية تهدف إلى نتيجة ضمنية في الخطاب، وتكون هناك غاية خفية بين الحجة والنتيجة، و"العلاقة الموجودة بين أ و ب من ناحية، و ب و ج من ناحية أخرى، هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بين أ و ج. وضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي علاقات التساوي والتفوق والتضمين".[1]

أ	ب
الشاعر يحب أهل البيت	أهل البيت
ب	ج
أهل البيت قرابة الرسول	الرسول

١ صولة، مقاله ''الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته''،ص٣٢٩.

أ = ج

الشاعر يحب الرسول

الغاية هي: إن أ تؤدي إلى ج .

إن الشاعر يحب أهل البيت ليس لذاتهم، وإنما يتعدى ذواتهم إلى الرسول، فهم قرابته، لذلك يفضلهم على غيرهم من الناس.

كما أننا نجد النهي في أبيات الشاعر صارمة، ونتبين أن الشاعر ثابت في أطروحته مقتنع بها لارجعة فيها من خلال كلمة (فدع.. أو زد) فلن يغير موقفه، فالأمر والنهي أسلوب إنشائي يستعين بهما الباث على توجيه المتلقي نحو سلوك ما، أو ردعه عنه حسبما يرى في أطروحته.

- **حجة المقارنة:**(L acomparaison)

حجة المقارنة تكون دقيقة إذا كانت بين قوتين متوازيتين في نشاط واحد، بذلك تكون المقارنة مقبولة بينهما، السؤال كيف تكون المقارنة حجة يبنيها الباث لصالح رأيه؟

يبدو أن المحاج بأسلوبه هذا يحاول أن يشغل جمهوره في اختيار نموذجين في المجال نفسه، أحدهما إيجابي والآخر سلبي حسب نظرته، ويبدأ بعمل المقارنة بينها لإيضاح سلبية الآخر، وإيجابية من يريد، للفوز باقتناع المتلقي.

وقد عقد شعراء الشيعة المقارنة بين سياسة الهاشميين والأمويين للدولة، لمحاولة إثبات صلاحية الخلافة لبني هاشم، وقدموا أطروحاتهم مدعمة بأدلة، وأدوات تساند هذه الأطروحات، فقد حاولوا أيضا نفي صلاحية الخلافة لبني أمية، وعدوهم مغتصبين لها؛ لأنها ليست من حقهم، وقدموا بذلك أطروحاتهم، وتعددت حججهم التي غالبا تستهدف أخلاق الأمويين السيئة وقلة خبرتهم بالحكم مقارنة ببني هاشم، ونرى فيها شيئا من الهجاء السياسي، يقول الكميت بن زيد: (**الخفيف**)

وهُمُ الآخِذُونَ من ثِقَةِ الأمـ ـرِ بِتَقواهُمُ عُرىً لا انفِصـــامِ

والمصِيبُونَ والمجِيبُونَ للـــدعـ ـوَةِ والمحرِزُونَ خَصلَ الترامِـي

ومُحِلونَ مُحرِمُونَ مُقِـــــــرو نَ لِحِل قَرارَةً وحَـــــــــرامِ
ساسَةٌ لاكَمَن يَرَى رِعيَةَ النا سِ سَواءً ورِعيَةَ الأَنعـــــــامِ
لا كَعَبدِ المَلِيكِ أو كَوَلِيـــدٍ أو سُلَيمانَ بَعدُ أو كَهِشـــامِ
رأيُه فِيهِمُ كَرَأيِ ذَوي الثـــلـ ـةِ في الثائِجاتِ جُنحَ الظلامِ*[1]

يعقد الكميت بن زيد مقارنة بين سياسة بني هاشم وبني أمية، ويورد هنا حججه، فعندما يمتدح آل البيت بأنهم أصحاب سياسة ويعدد لنا مناقبهم، ويمتدح صفاتهم، فخلف هذه الحجة يضمر لنا النقيض، وهي من أسباب كرهه للأمويين بأنهم ليسوا أصحاب سياسة.

نجده يستنجد بالبلاغة في تقوية حججه بتشبيه بني أمية برعاة الأنعام، فهم في جهالة، وضلال لا يستحقون خلافة؛ لأنهم ليس لديهم سياسة، ولا حكم، فكأنهم أصحاب أغنام، ولأن رعايتهم للناس سيئة على عكس الهاشميين، فهو يثبت السياسة لهم، وينفيها بأداة النفي (لا) عن خصومهم الأمويين، فهنا ذكر المشبه به، وحذف المشبه، وهم بنو أمية، لكنه يذكر ما يدل عليهم في البيت الثاني، ويصرح بأسماء الأعلام، وهم خلفاء بني أمية (عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك) بأنهم لا يصلحون للحكم، ولا يتساوون في القدر مع آل البيت، فعندما يصرح بأسمائهم، فهو يخصهم بهذه الصفة السيئة التي لا يشركهم فيها أحد، فكأن الشاعر هنا يذكر الحجة أولاً، وهي سوء الحكم، وعدم التمكن منه ثم يمثل لهذه الحجج بالأدلة، و البرهان ويضرب أمثلة، ويستخدم (الكاف) للتمثيل (لا كعبد المليك ولا كوليد ...)، وفي البيت الثالث نجد هناك استدعاءً لغوياً ،وبلاغياً؛ لدعم حجته من ناحية الضمائر، والتشبيهات .

رأيه ← يعود الضمير على حكام بني أمية.

فيهم ← يعود على الناس.

● الثائجات: الضأن. جنح الظلام: عند الظلام.

١ الكميت، **هاشمياته**، ص٢٣.

كرأي ذوي الثلة في الثائجات جنح الظلام، هنا يشبه رأيه برأي رعاة البهائم، فاستدل على الحجج بهذا الكلام:

١-إن بني أمية لا يصلحون للحكم؛ لأنهم ليسوا أصحاب سياسة وفي المقابل الهاشميون هم أفضل منهم للحكم.

٢-إن حكام بني أمية الذين ذكرهم يسيئون ولاية الرعية ولا يعرفون تدبيرها، إذ سوف تكون الأمة الإسلامية في خطر من حكمهم، فالأمان مع بني هاشم نفر الرسول.

٣ –إنهم استغلاليون نفعيون، مايهمهم من الرعية إلا النفع المادي كنفع الراعي من رعيته.

وفي المقابل نجد النتيجة المضمرة لهذه الحجج: إن بني هاشم هم قادة هذه الأمة، وساستها، وأفضل من بني أمية في الحكم لرزانة عقولهم، وعلمهم بالسياسة، والحكمة في اتخاذ الأمور.

وسياق حجته تدخل في إطار (حجة المقارنة) لأن هناك نموذجين يقارن بينهما "والواقع أن الحديث عن الاحتجاج بالنموذج والاحتجاج بالنموذج المضاد متى اجتمعا في خطاب واحد يقودنا إلى الخوض في أسلوب حجاجي آخر هو (المقارنة) ".[١]

نجد كلمة الساسة تتكرر أيضا عند الكميت بن زيد في مهاجمته للأمويين:

(الطويل)

فيا ساستَا هاتوا لَنا من جوابِكم فَفِيكم لعَمرِي ذو أفانِينَ مِقـــوَلُ
أأهلُ كتابٍ نَحنُ فِيهِ وأنتـــمُ على الحق نَقضِي بالكتابِ ونَعدِلُ
فَكيفَ ومِن أنى وإذ نَحنُ خِلفَةٌ فَرِيقانِ شَتى تَسمَنُونَ ونَهْـــزِلُ [٢]

"أراد ساسة الناس، يعني القيام بأمورهم وهذا أعلى جهة الهزء بهم"[٣]، فهو يستهزئ ويعلن التحدي لهم بالجدال، ويسألهم وينتظر الجواب (هاتوا لنا جوابكم)، يتساءل ويستفهم

١ الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، ص٢٤٨.
٢ الكميت، **ديوانه**، ص١٥٣.
٣ نفسه، ص١٥٣.

من أين لكم هذا الحق؟ وكيف اقتصرتموه على أنفسكم من دوننا؟ ويدل على شدة استفهام الشاعر وتعجبه تتابع أدوات الاستفهام: فَكيفَ وأنى... لكم هذا الخير والرزق حتى أصبحنا فريقين: أنتم في سعة من أمركم ونعيم، ونحن الرعية في فقر وهزل."وفائدة الاستفهام على التركيب المعدول عنه تهويل وتضخيم إثم المخاطب وظلمه، فالاستفهام أكسب أصل المعنى معنى زائدا هو تضخيم الموقف وتقوية ذم الخصم"[١]

استخدم الشاعر الأسئلة في حجاجه، ونحن نعلم أن للسؤال طاقة حجاجية، تثير النقاش، لأن سؤال الباث عادة ينتظر الجواب من الخصم، وهنا لابد للخصم من الجواب والدفاع عن أطروحته وصد الأطروحة المقابلة، وإلا أصبحت أطروحة الآخر هي الحقيقة، فذلك يستدعي جدالا ونقاشا وتبادل حجج وأدلة، ذكر ذلك محمد القارصي في نظرية المساءلة لميشال ميال:"لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولد بدوره حجاجا، فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام؛ لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته، والحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره".[٢]

ولسؤال الكميت بن زيد مفهومان أحدهما ضمني والآخر ظاهر: أما الظاهر فهو ظاهر السؤال لنا (من أين لكم هذا الرزق؟)، وأما المضمر فهو الغاية التي يقصدها الشاعر: إنكم حكام ظلم وجور، هضمتم حق غيركم، ولم تعدلوا بيننا وبينكم، بل استأثرتم بكل الخير لكم. والسؤال هنا ليس سؤال علم، ولكنه سؤال إقرار، يريدهم أن يقروا بفسادهم واستبدادهم وجهلهم بالسياسة والدين معاً.

١ محمد مشبال، **خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية**، ط١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥، ص١٢٥.

٢ محمد علي القارصي، مقاله ''البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار''، في كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، ص٣٩٤.

وقد تحدث شعراء الشيعة عن ظلم بني أمية واستهدفوا هذه الصفة، وأكثروا منها في أشعارهم؛ لغاية أن ينفروا الناس من حكمهم، ويقنعوهم برؤيتهم السياسية، يقول أبو الأسود الدؤلي:

صبغت أميةُ بالدماء أكُفنا وطوت أميةُ دونَنا دُنيانا[1]

استخدم كلمة صبغت وعدل عن غيرها؛ لأنها تدل على أن بني أمية قد غرقت أيديهم بالظلم كليا، فلا توجد مساحة للعدل عندهم، فالصبغة تلون اليد كلها. ويقصد بالدماء أنهم قتلوا أهل البيت وتورطوا في دمائهم، فهم تعدوا بذلك الحدود وتجبروا وطغوا حينما انتهكوا حرمة أهل البيت.

النتيجة: بنو أمية ظالمون؛ لأنهم قتلوا أحفاد الرسول وأهل بيته، ليس من المنطق أن يبقوا في الحكم.

- **حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له:** (Argument de division)

هذه الحجة تشمل إطلاقَ حكمٍ ما على كل، ومن ثم يجر هذا الحكم على بقية أجزاء الكل المكونة له، مثل ما نجد عند بعض شعراء الشيعة، الذين يطلقون حكم الإمامة على جميع قريش، ثم نجدهم يجرون الحكم على علي وأبنائه بحكم أنهم جزء من هذا الكل. وقد يستغل الباث هذه الحجة للتشويق والجذب، وذلك من خلال ذكر الكل في البداية مقدمة لحجته، مما يجعل المتلقي في تشوق لمعرفة ما هو قادم، مثل قول كثير عزة:

أَلَا إن الأَئمةَ من قُرَيْشٍ وُلاةَ الحق أربعةٌ سـواءُ
علي والثلاثةُ من بَنِيـه همُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ[2]

أراد كثير أن يلفت الانتباه إلى الحجة التي يريد أن يقولها، فعمل على صناعة مقدمة تسبق حجته، مرتبطة بها؛ ولأنه يعلم أن الأحزاب تتصارع على الخلافة، وكان بال الناس مشغولا بها، فكانت مقدمته تنبيها وإقرارا بالمعرفة حينما يقول :(ألا إن الأئمة من قريش...)

---

١ الدؤلي، **ديوانه**، ص٣٧٦.
٢ كثير عبد الرحمن، **ديوانه**، جمعه وشرحه إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ ، ص٢٥٠.

فإن الناس تلتفت إليه تنتظر من هؤلاء الأئمة؟ بذلك يكون كسب النقطة الأولى وهي جذب السامع والتشويق لما هو قادم، ثم تأتي النقطة الأخرى وهي الإدلاء بالحجة بعد المقدمة والتنبيه إليها، "إذ بعد الظفر بالحجج والتفكير في مكونات الخطاب، لابد من التفكير في ترتيب تلك الحجج ووضع كل واحدة في المكان المناسب لها فيزيدها ذلك قوة في ذهن المخاطب، ...فالمطالع والمقدمات (Exord) مدعوة إلى استمالة الأعناق وحل السخائم وجلب ود السامع مع الزج به في غمرة القضية".[1]

يقصد أن الإمامة لا تصح إلا لعلي وأبنائه أصحاب الحق، ويرى أن هذا أمر مؤكد لا خفاء فيه ولا ريبة.

(تسلسل صناعة الحجة عند كثير)

الإمامة لمن تكون؟ ؛ لقبيلة قريش. من أحق الناس من قريش؟ هم أصحاب الحق والأقرب إلى الموروث –النبي محمد صلى الله عليه وسلم–: علي وأبناؤه.

إذن، نتيجة =الخلافة من حق علي وأبنائه لا شك في ذلك، وتعد هذه الحجة أيضا من (القياس المدرج) الذي يقدم لنا قياسات منطقية مرتبطة ببعضها لتؤدي إلى نتيجة أكبر يقصدها الشاعر.

- **حجة قلب البرهان على صاحبه**:(Retorsion)

هذه الحجة تتصل بحجة التناقض وعدم الاتفاق، وهي تنص على اعتماد حجة الخصم وإثبات أنها تناقض مايريد، مثل قول الأمويين: إنهم استحقوا الخلافة لأنهم الأسبق والأفضل لها[2]، فأخذ السيد الحميري هذا البرهان وقلبه ضدهم، مستخدما هذه الحجة المساعدة له، حيث قال: (**المتقارب**)

لعمري لئن كان للسابقينَ وسيلةُ فضلٍ على التابِعينـــا

---

١ حمادي صمود، مقدمته''في الخلفية النظرية للمصطلح''، في كتاب **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية** ، ص١٦.

٢ انظر طليمات، الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ص٦٧٣.

لقد كان للسَابقِ السابقينَ عليهمْ منَ الفضْلِ ما تَدَعُونا
فقد جُرتمُ وتكـــــــذبتمُ على ربنا كَذِبَ المُفترينـــــا
كذاك وربِ منى والـــذي بكعبتِه طوّفَ الطائِفـــــــونا
لقد فضل الله آل الرسولِ كفضلِ الرسولِ على العالَمينا[1]

حجة الخصم: إننا الأفضل لاستحقاق الخلافة.

نقض الحجة وقلبها على صاحبها: إن كنتم استحققتم الخلافة لتفضيلكم على الناس، فإن الله من فوقكم فضل آل الرسول؛ لفضل محمد صلى الله عليه وسلم على العالمين.

- **الحجج القائمة على الاحتمال**:(L argumentation par la probable)

وهي من الحجج التي تعتمد على معرفة الشخص سابقاً، كأن نقول: هذا ابن حاتم الطائي، إذاً يتوقع منه أن يكون كريماً.

نجد استخدام الشيعة لهذه الحجة في شعرهم كثيرا، خاصة في توقعات سياسة علي المستقبلية للدولة؛ لأنهم يثقون في علي، ويرون فيه الكمال والمزية على البقية، يقول الكميت بن زيد: (**الوافر**)

بِمَرضِي السِيَاسَةِ هاشِمِـــــي يَكُونُ حَيَاً لأُمتِهِ رَبِيعـا
ولَيثاً في المشَاهِدِ غَيرَ نِكسٍ لِتَقوِيمِ البَرِيةِ مُستَطِيعـــا*
يُقِيمُ أُمُورَها ويَذُب عَنهـــا ويَترُكُ جَدبَهَا أَبَداً مَرِيعا[2]

يتوقع الكميت بن زيد من علي سياسة الدولة بشكل جيد، فهو شجاع في المعارك، وسوف يقيم حدود الله، والعدل بين الناس؛ ذلك بأنه هاشمي من آل البيت يحتمل صدور هذه الأفعال منه، إذا حكم الدولة الإسلامية مستقبلاً.

- **حجة السخرية**:

---

١ الحميري، **ديوانه**، ص١٦٩.
● النكس: الجبان الردي، وهو السهم يُنكسُ فيجعل أسفله أعلاه.
٢ الكميت، **ديوانه**، ص١٩٩.

استغل شعراء الشيعة طريقة بني أمية في توريث الحكم، وسخروا منهم وجعلوها حجة عليهم يستدلون بها على طمع بني أمية في السلطة والاحتفاظ بها بأي طريقة. يقول عبدالله بن همام السلولي:

فإنْ تأتوا بِرملة أَو بِهنـــــــدٍ نبُايِعها أَميرَةَ مُؤمِنينـــــا
إذا ماماتَ كِسْرَى قام كِسْرَى نَعُدُّ ثَلاثَةً مُتَناسِقينـــــا
لَقد ضاعَتْ رعِيَّتُكُـــم وأَنتُم تَصيدونَ الأَرانِبَ غافِلينا[1]

ينتقد الشاعر بسخرية من بني أمية، ويصور لنا شدة حرصهم على إبقاء السلطة في البيت الأموي إلى درجة أن يورثونها إلى بناتهم، فيقول: إنهم مثل نظام كسرى في طريقة وراثة الحكم، فلا هم لهم سوى السلطة وصيد الأرانب، أما الرعية فقد ضاعت تحت حكمهم الجائر.

فالحجة هنا: إنهم لا يهتمون بشؤون الرعية، وإنما اهتمامهم يقتصر على أنفسهم، فهؤلاء الحكام يتميزون بالأنانية، لا يستحقون إدارة حقوق الناس.

من خلال دراستي لشعر الشيعة وجدت كثيراً من الحجج الخاصة بالشيعة دون غيرها من الأحزاب، يرددونها في كل مرة يحتجون على الخلافة، فكان لابد من تخصيص صفحات للكشف عنها، إضافة إلى ذكر الخصائص التي امتاز بها الشعر الشيعي عن البقية.

_ أهم الحجج الخاصة بالحزب الشيعي:

أول ما يتبادر إلى الأذهان لماذا ركز شعراء الشيعة على هذه الحجج، حيث إننا نجدها في كل محفل للجدال، وما تلك الحجج الشيعية؟

أرى أن شعراء الشيعة رددوا تلك الحجج لغاية يسعون إليها:

---

١ أحمد بن يحيى البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف**، ج٥، ط١، تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي بيروت: دار الفكر، ١٤١٧، ص٧٠.

أولاً: هذه الحجج هي تجديد لطاقتهم العاطفية، كلما شعروا بنقص انفعالهم، أثاروها كي تزيدهم حماسا وتمسكا بالقضية من جديد.

ثانياً: إن هذه الحجج يرددها الشيعة في كل حين؛ لترسيخها في ذهن المتلقي وجعلها من المسلمات المعترف بها، ونيل استعطافه مع القضية.

فهم يقصدون بترديد تلك الأدلة؛ لغاية تتصل بكل من الباث والمتلقي. ما هذه الحجج؟

تتشابه حجج الشيعة لأنها تدور في حلقة صلة آل هاشم بالرسول من ناحية الأرحام والوراثة، ونجد أن لهم عدة حجج أكثروا منها، مثل:

١-حجة الوصاية:

يزعمون أن الرسول أوصى بعلي من بعده وأوكل إليه الأمور ويستشهدون بيوم غدير خم، وهذه الحجة تأتي في الغالب مع تذكير بوجوب طاعة الرسول وقرابة الهاشميين منه، واستشهادات قرآنية، لتخويف المتلقي من عصيان أوامر الرسول. ومن أكثر الشعراء الذين ذكروا هذه الحجة في ديوانهم، السيد الحميري، يقول: (**الطويل**)

علي وصي المصطفى وابنُ عمهِ وأولُ من صلى ووحد فاعلمِ [١]

السيد الحميري يربط الوصاية بحجة أقوى، وهي صلة الرسول بعلي، إضافة إلى فضل علي على بقية أبناء عصره وخاصة بني أمية لأنهم خصومه، فهو أول من استجاب للرسول ووحد الله. ويقول أيضا في حجة الوصاية: (**الطويل**)

عليّ أميرُ المؤمنينَ وحقّـــهُ من اللهِ مفروضٌ على كل مُسلم
لأن رسول الله أوصى بحقهِ وأشركه في كلّ فَيءٍ ومَغَنـــــمِ [٢]

يقول أيضا: (**الطويل**)

وأوصى إليه يومَ ولى بأمرِهِ وميراثِ علمٍ من عُرى الدينِ مُحْكَمِ [٣]

هنا إقرار منه بأن عليا هو أمير المؤمنين، ويحاول إثبات هذه الدعوة بحجة أن هذا الحق مفروض من الله، لماذا؟ لأن الرسول أوصى بحقه، وأشركه في كل الغنائم، فلابد من

١ الحميري، **ديوانه**، ص١٥١.
٢ نفسه، ص١٥٢.
٣ نفسه، ص١٥٢.

شريك الرسول أن يتسلم الحكم من بعده؛ لأنه وصيه ومساعده، ويكشف عن هذا الأمر في بيت يليه، يقول: (**الطويل**)

وكان كهارونَ بنِ عمرانَ عندَهُ من المصطفى موسى النجيبِ المكـــلمِ [1]

أي إنه ساعده الأيمن في السراء والضراء، وتشبيه علي بهارون، والرسول بموسى عليهما السلام، كأنه يريد بذلك القرب الشديد الذي يتعدى أبناء العم إلى أبناء الرجل الواحد، وخاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم تربى فترة من عمره في حجر عمه أبي طالب، ومن المقتضى أن الأخ يرث أخاه في الحكم لذلك وجب الحكم لعلي من بعد الرسول عليه الصلاة والسلام.

يقول أيضا: (**الكامل**)

رجلٌ حوَى إرثَ النبي محمدٍ قِسماً لهُ مِن مُنزِلِ الأقســـــامِ
بوصيةٍ قُضيَت لهُ مخصوصةٍ دونَ الأقارِبِ من ذوي الأرحامِ
ولقد دعا العباسَ عندَ وفاتِهِ بقَبولِها فأضج بالإعـــــــدامِ
فحَبا الوصي بِها فقامَ بحقِّها لما حَباهُ بِها علَى الأعمـــــامِ [2]

الشيعة يدعون إلى خلافة بني هاشم، ولكن هنا نجد السيد الحميري يخص عليا من بني هاشم لحجة (اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم له من بين الأقارب)، فنجد حجة أخرى مضمرة وهي: إن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى توافر سمات القائد المسؤول في علي، لذلك خصه من دون أعمامه بني هاشم. ويقول أيضا في ربط حجة الوصية بطاعة الله ورسول:(**الوافر**)

أطِيعوا اللهَ رب الناسِ ربـــــاً وأحمدَ والأُولى المتأمِّرينـــا
فذلكمُ أبو حسنٍ علـــــــي وسبطاهُ الوُلاةُ الفاضِلونـا
فقلتُ أخذتُ عهدَكم على ذا فكُونوا للوَصي مُساعِدينا

---

١ نفسه، ص١٥٢.
٢ نفسه، ص ١٥٦.

لقد أصبَحتَ مولانا جميـــــعاً ولسنا عن وَلائكَ رَاغبينـا [1]

يذكرهم بوجوب طاعة الله ورسوله، ويشير إلى الآية:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)[2]، ثم يذكر أن علياً رضي الله عنه وصي الرسول صلى الله عليه وسلم، فكأنه يقدم لحجته بمقدمات دينية تحذيرية تخويفا من العصيان لأوامر الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يذكر حجته وهي: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بمساعدة علي والأخذ بوصايته.

وقد ذكروا لفظ الوصي والولي بالاستشهادات السابقة كثيرا في أشعارهم لاسيما الكميت بن زيد يقول: (**الخفيف**)

والوَصِي الذي أَمَالَ التجُـــو بِي بهِ عَرشَ أُمةٍ لانهـــــــدامِ*

والوَصِي الوَلِي والفارِسُ المِـــعـ لمُ تَحتَ العَجاجِ غَيْرُ الكَهـــامِ [3]

وقوله: (**الخفيف**)

ووَصِي الوَصِي ذِي الخُطةِ الفَصـ لِ ومُردِي الخُصُومِ يَومَ الخِصامِ [4]

يقول أبو الأسود الدؤلي: (**الوافر**)

أُحِب محمداً حُباً شـــــــديداً وعَباساً وحمزَةَ والوصيـــــــا [5]

وكثير عزة يقول: (**الطويل**)

وَصِي النبي المصطفى وابنُ عمهِ وفَكّاكُ أغلالٍ وَقَاضِي مَغـــارِمِ

أبى فَهو لا يَشرِي هُدًى بضَلالةٍ ولا يتقي في الله لَوْمَةَ لائِـــــمِ [6]

٢-حجة حادثة الطف:

---

١ نفسه، ص١٦٣.

٢ سورة **النساء**، آية ٥٩.

● التجوبي: عبدالرحمن بن عمرو بن يحي بن ملجم، قاتل علي رضي الله عنه.

٣ الكميت، **ديوانه**، ص٢٩.

٤ نفسه، ص٣٣.

٥ الدؤلي، **ديوانه**، ص١٥٣.

٦ كثير، **ديوانه**، ص٢٢٥.

يرتبط وادي الطف في العراق بالحسين رضي الله عنه، حيث قتل هناك، فكانت تلك الواقعة عظيمة في نفوس الشيعة، أثرت قرائحهم الشعرية، ففاضت بالثورة و الانتقام من ناحية، ومن ناحية أخرى بالندم ورثاء ابن بنت الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم يرون أنهم هم السبب في مقتل الحسين، حينما دعوه إلى الكوفة، ثم خذلوه بعدم نصرته واستجابة دعوته، فلما قتل أشعلت نيران الثورة في صدورهم، فلذلك نجدهم احتجوا بهذه الحادثة لإقناع الناس بالثورة، فأصبحت هذه الحادثة عالقة في أذهان الشيعة، يجددونها في كل عام إلى يومنا هذا، بالبكاء والرثاء بأشعار خاصة بهم تسمى (الحسينيات) يندبون بها الحسين ويلومون أنفسهم على خذلانه.

بعد هذه الحادثة حنقت النفوس على بني أمية وأكثر شعراء الشيعة من تكرار هذه الحجة تحريضا منهم على الثورة والانتقام لدم الحسين، وقد مزجوا هذه الحجة بالعاطفة الحزينة التي تحاكي الأفئدة، مصورين حال الحسين ورفاقه في ذلك اليوم، يقول أبو الأسود الدؤلي: **(الكامل)**

يا ناعيَ الدينِ الذي يَنْعى التقى ... قُم فانعَهُ والبَيتَ ذا الأستارِ
أبني علي آل بيتِ محمـــــــدٍ ... بالطف تقتُلُهـــم جُفاةُ نزارِ
سبحانَ ذي العرشِ العلي مكانُهُ ... أنى يُكَـــــابِرُهُ ذوو الأوزارِ
أبني قُشَيرٍ إنني أدعُوكُـــــــــمُ ... للحق قبلَ ضلالةٍ وخَســـارِ
قُودوا الجيادَ لنَصرِ آلِ محـــــمدٍ ... ليكونَ سَهمُكم مع الأنصارِ
كُونوا لهم جُنَناً وذُودوا عنهُـــم ... أشياعَ كُل مُنافقٍ جبّـــــارِ
وتَقدموا في سَهمِكم من هاشـــمٍ ... خيرِ البَريةِ في كتابِ الباري
بهم اهتَديتم فاكفُروا إن شئتُـــمُ ... وهُمُ الخِيارُ وهُم بنو الأخيارِ [1]

يدعو من ينعى الحسين رضي الله عنه أن يذهب إلى الكعبة ويبكي هناك، ويبدو لنا من هذا الطلب الخفية والتستر من بني أمية خوفا من بطشهم، فلم يستطيعوا أن يقيموا له

١ الدؤلي، **ديوانه**، ص١٥٨.

العزاء جهاراً، ثم يتعجب من الذين قتلوا الحسين رضي الله عنه كيف يستطيعون أن يتحملوا أوزاره الثقيلة خاصة أنه حفيد الرسول عليه الصلاة والسلام، وينتقل إلى دعوة بني قشير للثورة والانتقام.

ترتيب حجة أبي الأسود الدؤلي:

١-نعي ورثاء= كسب ود السامع.

٢-تقديم الحجة وذكر حادثة الطف وصلة الحسين بالرسول عليه الصلاة والسلام وعظيم ذنبه= استعداد لتقديم الدعوة.

٣-الدعوة وهي الانتقام من المنافقين الجبارين، والجزاء يكون بعظم الثواب ورد الجميل؛ لأنكم نافحتم عن خير البرية الذي هداكم إلى الإسلام.

المفردات التي خدمت حجته:

يا ناعي الدين ، أبني علي آل بيت محمد.

نداء وتنبيه لمتلق خاص (شيعي) ولفظ الدين كناية عن الحسين رضي الله عنه، يريد تذكيرهم بأن الحسين من آل الرسول، فصلته بالدين أقوى من بني أمية.

أنى يكابر ذوو الاوزار: تعجب وإشارة خفية إلى تقديس الحسين رضي الله عنه ، وذنب الإساءة إليه عند الله كبير جداً.

أدعوكما للحق: ينعت دعوته بالحق وأنها هي الصواب، فيجب على كل مسلم الثورة من أجل الحسين رضي الله عنه.

خير البرية في كتاب الباري: إن الانتقام لهم هو الانتقام لله؛ لأن الله فضلهم في كتابه.

في كل كلمة ذكرها أبو الأسود الدؤلي نجد له مقصداً خفياً من خلفها يسعى إلى هدفه المرجو.

يقول الكميت بن زيد في حجة حادثة الطف: (**الطويل**)

ومِن أكبَرِ الأحداثِ كانَت مُصِيبَةً عَلَينا قَتِيلُ الأدعِياءِ المُلَحَّبُ*

قَتِيْلٌ بِجَنْبِ الطفِ مِن آلِ هاشمٍ فَيا لكَ لَحْماً لَيْسَ عَنْهُ مُذَبِبِ [1]

قتيل الأدعياء يقصد به الحسين رضي الله عنه، والأدعياء جمع دعي الذي ينسب إلى غير أبيه، يقصد به عبيد الله بن زياد الذي قتل الحسين رضي الله عنه. فكأن الشاعر يترك للمتلقي خيار تحديد موقفه من القاتل من خلال عقد مقارنة بين القاتل الذي لا نسب شريف له، والمقتول الذي ينتسب إلى أشرف الناس، فإلى أي صف تقف أيها المتلقي؟ ثم يعود إلى دفع المتلقي إلى اتخاذ موقف من القاتل بشكل خفي من خلال التحسر المحرض على الانتقام والأخذ بالثأر، (فيا لك لحما ليس عنه مذبب) فهو لم يدعُ إلى الثورة بشكل صريح ولكن يلمح إليها تاركاً للسامع اتخاذ القرار من خلال مقارنة الأنساب بين القاتل والمقتول.

٣-حجة وراثة الحكم وحقهم المسلوب:

هذه الحجة التي طالما تغنى بها شعراء الشيعة، وبرهنوا بها على أحقية الخلافة لعلي وأبنائه، يقول الكميت بن زيد: (**الطويل**)

ولَكِن مَواريثُ ابنِ آمِنَةَ الذي بِهِ دانَ شَرقِي لَكُم ومُغَـــــرِّبُ
فِدى لَكَ مَورُوْثاً أبِي وأبُو أبِي ونَفسِي ونَفسِي بَعدُ بالناسِ أطيَبُ [2]

يقول أيضا: (**الطويل**)

يَقُولُونَ لَم يُورَثْ ولَولا تُراثُه لَقَد شَرِكَت فِيهِ بَكِيلٌ وأرحَـــبُ [3]

إن حق الوراثة لآل هاشم فقط، دون سائر الناس، ولو كان غير ذلك لوجدنا جميع القبائل طالبتكم بالحكم.

نرى تكرارا لفظيا صريحا (للحق) في شعر الشيعة، مقرونا أحيانا بضمائر تعود على بني هاشم، مثل قول ابن بشير الأنصاري في حق الهاشميين في الخلافة: (الطويل)

● قتيل: هو الحسين بن علي رضي الله عنهما. الأدعياء: عبيد الله بن زياد. الملحب: المقطع بالسيوف.
١ الكميت، **هاشمياته**، ص٨٤-٨٥.
٢ نفسه، ص٥٩.
٣ نفسه، ص٦٢.

فما أنت والأمْرُ الذي لستْ أهلَهُ ولكْن وَلِيُّ الحق والأمرِ هَاشِمُ [1]

والبيت السابق للكميت:

بِحَقكُمُ أَمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا وبالفَذ مِنها والرديفَيْنِ نُركَبُ

وقوله السابق:

يَرَونَ لَهُمْ فَضلاً على الناسِ واجباً سَفاهاً وحَق الهاشِمِيينَ أَوجَبُ

كل هذه ألفاظ صريحة، تندد بظلم بني أمية لبني هاشم واغتصابهم للحق، والتصرف بهذا الحق المسلوب، وإكراه الناس على قبول بيعتهم، وإيجاب طاعتهم، وممارسة هذا التصرف حتى مع بني هاشم أصحاب هذا الحق وورثته.

حجة الوراثة: نوعها ديني، عقلي. يحاور بها الشيعة أصحاب الدين والمنطق لكي يجمعوا تأييدهم لقضيتهم، بالجدال الديني تارة، وتارة أخرى بالقياس العقلي.

- **الخصائص التي امتاز بها الشعر الشيعي:**

من خلال قراءة شعر شعراء الأحزاب، والنظر في الشعر الشيعي وجدت تميزه بعدة خصائص منها:

أولا: تأثرهم بالألفاظ الإسلامية، واستشهاداتهم القرآنية التي يدعمون بها حججهم مثل قول الكميت بن زيد السابق ذكره:

وَجَدنا لَكُم في آلِ حامِيمَ آيةً تَأَولَها مِنا تَقِـــــــي ومُعـــــرِبُ

وفي غَيرِها آياً وآياً تَتابَعَـــتْ لَكم نَصَبٌ فِيها لِذِي الشك مُنصِبُ

إشارة إلى الآيات السابق ذكرها.

وقول السيد الحميري في البيت السابق ذكره:

وكان كهارونَ بنِ عمرانَ عندَهُ من المصطفى موسى النجيبِ المكلمِ

---

١ النعمان بن بشير الأنصاري، **ديوانه**، تحقيق يحيى الجبوري، ط٢، الكويت: دار القلم، ١٤٠٦، ص ١٣٩.

"لما كان التزام الشيعة إسلامي الجوهر إلهي الطبيعة، فإن شعراءهم اقتبسوا من الفكر الإسلامي عامة، ومن القرآن خاصة كثيراً من الأبيات، بالمعنى حيناً، وبالمعنى والمبنى حيناً آخر، على النحو الذي مر بنا"[1]

ثانياً: تصوير المآسي التي حلت بهم وببني هاشم؛ تقوية للحجة وإيضاحاً للفكرة، مثل تصوير عبد الله بن الحر في حادثة الطف حاله وهو يرى القتلى من الشيعة، يقول: (**الطويل**)

وقفتُ على أَجداثِهم ومجالِهم فكاد الحَشَا ينفَضُّ والعينُ ساجمَه [2]

يصور لنا انفطار قلبه على قومه الذين قتلوا، فالحشا يغلي من الألم، والعين تسيل دمعها، يصف لنا اضطراب حاله من الداخل والخارج، من الداخل ألم القلب وانتفاضه، ومن الخارج دمع العين الذي انحدر لرؤية القتلى.

لقد كان أغلب تصوير قتلاهم مقرونا بحال مضادة لحال أعدائهم، مثل قول أبي دهبل الجمحي: (**الطويل**)

تَبِيتُ النشاوى من أميّة نُوماً وبالطفّ قتلى ما يَنام حَميمُـــــها [3]

يعقد مقارنة بين حال القاتل الذي ينام بعمق وراحة، وحال المقتول الذي يئن ويتألم حتى فاضت روحه إلى الباري.

ثالثاً: الإكثار من مدح الهاشميين وذكر فضائلهم، وأكثر ما يخصونهم بصفات الدين والأخلاق الفاضلة، مثل قول أيمن بن خريم: (**الوافر**)

نهارُكُمُ مكابدةٌ وصـــــومٌ ولَيلُـــكُمُ صلاةٌ واقـــــــتراءُ

---

١ طليمات، الأشقر، **الشعر في العصر الأموي**، ص٦١٢.

٢ محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٥، ط٢، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص٤٧٠.

٣ وهب بن زمعة الجمحي، **ديوانه**، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، ط١، النجف: مطبعة التضاد، ١٣٩٢،ص٨٦. وفي كتاب الأغاني (تبيت السكارى...) انظر علي بن الحسين الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ج ٧، ط٣، بيروت: دار صادر،٢٠٠٨، ص١٠٥.

وَلِيتم بالقُرآنِ وبالتزكـــــي فأَســـرعَ فيكمُ ذاكَ البـــــلاءُ [1]

يقول السيد الحميري في مدح علي رضي الله عنه: (**الوافر**)

وأول مؤمنٍ صلى وزَكّـــى بخاتَمِهِ على رَغمِ الكُـــــــفورِ

وقد وجبَ الولاءُ له علينـــا بذلك في الجِهار وفي الضـــــميرِ [2]

رابعاً: سلك طرق الإقناع بالمنطق في أغلب أشعارهم.

خامسا: تنوع مواضيعهم ولم تختص فقط بمذهبهم، بل اشتملت أشعارهم على الغزل والهجاء والمدح من أجل التكسب وغيرها.

سادساً: تجويز الشيعة لأنفسهم مدح الأعداء من باب التقية، كما نرى الكميت بن زيد أخذ بها في آخر زمانه، يقول: (**مجزوء الكامل**)

أَبَنِي أُمَيةَ إنكُـــــم أَهلُ الوَسائِلِ والأَوامِـــر

ثِقَتِي لِكُل مُلِمـــــةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ العَشـائِرِ [3]

يقول أيضا: (**مجزوء الكامل**)

فالآن صِرتُ إلى أمَية والأُمُورُ إلى المَصـــــايِرِ [4]

سابعاً: الإقرار الصريح بحب بني هاشم رغم اضطهادهم في سبيل هذا الحب، يقول أبو الأسود الدؤلي: (**الوافر**)

أُحِبهُمُ لحُب الله حـــتى أجِيءَ إذا بُعِثتُ على هَوَيّـــــا [5]

يقول الكميت بن زيد: (**الطويل**)

---

١ الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٠، ص١٩٦.

٢ الحميري، **ديوانه**، ص٩٧-٩٨.

٣ الكميت، **ديوانه**، جمع وتقديم داود سلوم، ج٢، بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٦٩م، ص٢٢٥.

١٠٨ نفسه، ص٢٢٤.

٥ الدؤلي، **ديوانه**، ص١٥٤.

فَما لِيَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالِيَ إلا مَشعَبَ الحَق مَشعَبُ [1]

يرى أن التشيع لآل البيت من مسالك الحق التي يجب أن يطرقها، وقد صور لنا حال الخوف الذي يعانيه من الاضطهاد بسبب حبه للهاشميين، يقول: (**الطويل**)

أَلَم تَرَنِي من حُبّ آلِ مُحمدٍ أروحُ وأغدُوا خائِفاً أتَرقّبُ

على أي جُرمٍ أَم بأيةِ سِيـــرَةٍ أُعَنفُ في تَقرِيظِهِم وأُؤَنَّبُ [2]

أما عن أساليبهم، فقد مزج أسلوب الشعر الشيعي بين الحزن، والمنطق، والغضب، والندم، والعتب.

الحزن: يكون عند رثاء القتلى، وقلة حيلتهم أمام العدو، وتكون ألفاظهم عميقة الأسى صادقة العاطفة، سهلة واضحة المقصد.

الغضب: عند الدعوة إلى الانتقام والثورة، تكون ألفاظهم قوية، مؤججة للمشاعر والحماس للقتال.

المنطق: عند الحوار مع المتلقي، وإيضاح حقيقة دعوتهم، ومحاولة الإقناع بالفكر والعقل.

الندم والعتب: عند الحديث عن حادثة الطف، وخذلان الحسين رضي الله عنه.

وإذا أردنا أن نحصر أبرز حججهم ورؤيتهم السياسية من خلال الأشعار السابقة، فهي كالتالي:

القضية الأساسية:

حق علي وأبنائه في الخلافة.

الحجج التي أقيمت للتصديق بها:

١- علي وريث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه من أقاربه.

٢- علي وصي الرسول عليه الصلاة والسلام.

---

١ الكميت، **هاشمياته**، ص٥٠.

٢ نفسه، ص٧٥.

٣- علي وأبناؤه أصحاب دين وأخلاق ومثل عليا.

٤- علي صاحب حكمة وحنكة في قيادة أمور الدولة الإسلامية.

٥- علي وآل البيت يعاملون الناس بالعدل والمساواة، وتوزيع خيرات الدولة بالعدل بين الرعية.

كانت تلك أبرز الحجج التي دار حولها الشيعة واستعانوا بها في شعرهم؛ لبيان رؤيتهم السياسية في أحقية علي للخلافة.

واقتطفنا من الشعر الشيعي ما استطعنا؛ لندرس حججه وصياغتها، والشعر الشيعي يتميز بوحدة الموضوع والهدف، خال من المطالع التقليدية، وأغلب شعراء الشيعة هدفهم ديني وليس ماديا؛ لذلك كانت عاطفتهم قوية غير مصطنعة، وحججهم قوية يأخذونها أحيانا من القرآن والسنة.

خاتمة:

تحدثنا في بداية الفصل الأول عن نشأة الحزب الشيعي، وبداية ظهوره باعتباره حزباً سياسياً له ثقله المقلق للدولة الأموية، وتطرقنا إلى أهم فرق هذا الحزب ومبادئها وأفكارها، وقد اخترت حجج برلمان لتطبيقها على أشعار الشيعة، واستخراجها وفقاً لتصنيفات تلك الحجج وكانت حججاً عامة، ومن خلال البحث والدراسة وجدنا بعض الحجج التي اختص بها الحزب الشيعي دون غيره، فسلطنا عليها الضوء بشيء من الدارسة، مثل وصاية الرسول بعلي، وحادثة الطف الحزينة التي قتل بها حفيد الرسول، وقضية الوراثة، وغيرها. والحجاج لديهم كثير التأثر بألفاظ إسلامية و تناص قرآني، يستندون على أحاديث نبوية، إضافة إلى حوار عقلي بعيد عن المغالطة والسفسطة، كما أنهم استفادوا من مكانة آل هاشم عند المسلمين، وحركوا هذه الحجة بذكاء في كل مرة يحتجون للخلافة، يذكرون الناس بقرابتهم للنبي، وأن مساندتهم إرضاء له.

ومن ثم تكلمنا عن خصائص الشعر العلوي ومميزاته التي انفرد بها، والتي كما رأينا تميزت بالحزن والتأبين تارة، وتارة أخرى بالغضب والثورة، فقد امتزجت حججهم بمجموعة من الانفعالات، كانت مابين الظاهر والمضمر، صاغوها بأسلوبهم السهل الممتنع.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ج٤، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٢. أبو الأسود، ظالم بن عمرو. **ديوانه**. صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨.
٣. أبو الفتح، محمد عبد الكريم الشهرستاني. **الملل والنحل**. علق عليه أحمد فهمي محمد، ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣.
٤. أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني. **الأغاني**. تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ج٧، ط٣. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨.
٥. أبو حرزة، جرير بن عطية. **ديوانه**. شرحه محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، م١، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٦. الأسدي، الكميت بن زيد. **ديوانه**. جمع وشرح محمد نبيل الطريفي، ط١. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠.
٧. الأنصاري، النعمان بن بشير. **ديوانه**. تحقيق يحيى الجبوري، ط٢. الكويت: دار القلم، ١٤٠٦.
٨. الباجي، سليمان بن خلف. **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**. تحقيق عبدالمجيد تركي، ط٣، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت، ٢٠٠١.
٩. برلمان، شايم. **مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة**. ج١، المطابع الجامعية بليون، ١٩٨١.
١٠. البلاذري، أحمد بن يحيى. **جمل من أنساب الأشراف**. تحقيق سهيل زكار، رياض زركلي، ط١. بيروت: دار الفكر، ١٤١٧.
١١. بنو هاشم، الحسين. **البلاغة والخطاب**. إعداد وتنسيق محمد مشبال، ط١، كلية الآداب تطوان .
١٢. الحاجب، عثمان بن عمر. **مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل**. دراسة وتحقيق نذير حمادو، م١، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١.

١٣. الحباشة، صابر. **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**. ط١. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨.
١٤. الحباشة، صابر. **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**. ط١، دمشق: صفحات للدراسات والنشر،٢٠٠٨.
١٥. الحميري، إسماعيل بن محمد. **ديوانه**. تقديم نواف الجراح، ط١. بيروت: دار صادر، ١٩٩٩.
١٦. الحميري، يزيد بن مفرغ. **ديوانه**. جمع وتحقيق عبد القدوس أبوصالح، ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.
١٧. الحنفي، عبيدالله بن عمر. **تقويم الأدلة في أصول الفقه**. قدم له وحققه خليل محيي الدين الميس، ط١، بيروت: دار الفكر،١٤٢١هـ.
١٨. الحوفي، أحمد. **أدب السياسة في العصر الأموي**. ط٦. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٧ .
١٩. الخنساء، تماضر بنت عمرو. **ديوانها**. دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، ط١. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٥.
٢٠. الدريدي، سامية. **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه**. إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨.
٢١. الشايب، أحمد. **تاريخ الشعر السياسي، إلى منتصف القرن الثاني**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٣.
٢٢. شداد، عنترة. **ديوانه**. شرح الخطيب التبريزي. قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد، ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢.
٢٣. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**. ط١. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت.
٢٤. الصمة، دريد. **ديوانه**. تحقيق عمر عبد الرسول، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٢٥. ضيف، شوقي. **التطور والتجديد في الشعر الأموي**. ط١١. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٧.
٢٦. الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٥، ط٢. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٢٧. طليمات، غازي. الأشقر، عرفان. **الشعر في العصر الأموي**. ط١. دمشق: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٨.
٢٨. عبد الرحمن، طه. **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**. ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨.
٢٩. عبد الرحمن، كثير. **ديوانه**. قدم له وشرحه مجيد طراد، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤.
٣٠. عبدالمجيد، جميل. **البلاغة والاتصال**. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
٣١. فريق البحث في البلاغة، والحجاج. **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب، والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس. د.ت.
٣٢. كلثوم، عمرو. **ديوانه**. جمعه وشرحه وحققه إميل بديع يعقوب، ط١. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ.
٣٣.الكميت. **ديوانه**. جمع وتقديم داود سلوم، ج٢، بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٦٩م.
٣٤. المزني، زهير بن أبي سلمى. **ديوانه**. شرحه وقدم له علي حسن فاعور، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨.
٣٥. مشبال، محمد. **خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية**. ط١، عمان: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥.
٣٦. الملوح، قيس. **ديوانه**. جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
٣٧. النابغة، زياد بن عمرو الذبياني. **ديوانه**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
٣٨. الولي، محمد. **الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية**. الرباط: دار الأمان، ٢٠٠٥.
٣٩. يوسف، عبد الفتاح أحمد. **الخطاب السجالي في الشعر العربي، تحولاته المعرفية ورهاناته في التواصل**. ط١. بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤.

- **المراجع المترجمة/**

١. شارودو، باتريك. **الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى**. ترجمة أحمد الودرني، ط١. بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩.

- **المجلة من الشبكة العنكبوتية/**

١. نور الدين، بوزناشة. "الحجاج في الدرس اللغوي الغربي". **مجلة العلوم الإنسانية WWW.ULUM.NL**. السنة السابعة، العدد ٤٤، ٢٠١٠.

الفهرس

مقدمة.....١
مدخل: مفهوم الحجاج عند بعض النقاد العرب وبرلمان.....٣
الفصل الأول: الحجاج في شعر الشيعة.....٢١
نشأة الحزب الشيعي ٢٢
أهم فرق الحزب الشيعي وشعرائهم.....٢٤
الحجاج في شعر الشيعة.....٢٥
أهم الحجج الخاصة بالحزب الشيعي.....٤٨
خصائص الشعر الشيعي.....٥٦
خاتمة..... ٦١
قائمة المصادر والمراجع.....٦٢
فهرس.....٦٥